

محمد متولي الشعراوي



تقـــديم

الأمثال .. في القرآن

لماذا ضرب الله الأمثال ؟

إن الله سبحانه وتعالى حين ضرب الأمثال ربطها بموكب الايمان وربطها بالهدى والضلال . فكأنما هذه الأمثال أراد الله سبحانه وتعالى أن يضعها أمام المؤمنين ليرد بها على قضية مثارة ، أو يلفتهم لفتة إيمانية ، أو يبين لهم مثل الكافرين .

والأمثال كما قلنا لاتشبه شيئا فرديا بشىء فردى ، ولكن المثال يأتى لتقريب فكرة ما إلى الذهن البشرى ، بحيث يستطيع أن يستوعبها . ولا يشترط أن يكون المثال من نفس نوع الشيء الذى تتحدث عنه . ولكن يشترط أن يعطينا الفكرة التى نريدها أن تكون واضحة فى أذهان الناس .

وهكذا أراد الله سبحانه وتعالى من الأمثال بالقرآن الكريم ، أن يوضح لنا ويقرب إلى أذهاننا معالم هى غيب عنا . ذلك أن عالم الغيب لا يصل إليه العقل البشرى مهما اجتهد ، لأن هذا العالم محجوب عنا .

ولكن كما اقتضت قدرة الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض وتسخيرها للانسان ، اقتضت رحمته أن يضرب فى

تـقـــديـم

منهجه الأمثال ، ليقرب إلى عقولنا المحدودة ما لا تستطيع أن تصل إليه ، ذلك أن هناك أشياء حسية أطلعنا الله عليها ، وأشياء أخرى اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن تظل غيبا عنا ، كاختبار وامتحان إيمانى وتثبيت للايمان فإن الله قد قرب إلينا ما هو غيب عنا بأمثال نعرفها ونحسها فى حياتنا .

ولقد تناولنا فى الجزء السادس من الكتاب الأمثلة التى ضربها الله سبحانه وتعالى حول : مواكب الرسل ، ومواكب الايمان ، ومثَلُ الكافرين ، ومثل التحدى ، ومثل الحياة الدنيا .

وفى هذا الجزء نكمل الأمثال فى القرآن الكريم ، وهى التى تقرب لنا معانى الجنة والنار ، ومعانى الغرور النفسى واتباع الشياطين ، ومثل عيسى و آدم عليهما السلام ، ومثل الرقم ١٩ الذى ضربه الله سبحانه وتعالى لملائكته الذين يقفون على أبواب النار .

ونرجو من الله أن نكون قد وفقنا فى خواطرنا حول هذه الأمثال .

الفَصْلُ الأَوَّلُ

مَثَلُ المَعْصِيَةِ



منهج الله سبحانه وتعالى هو اختبار لحب الله فى النفس البشرية . . ذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد خلق أجناسا كثيرة . . وأراد أن يعطيها الاختيار فى أن تطيع . . أو لا تطيع . . فلم تقبل . . وقالت . . رب إننا نريد أن نكون مقهورين على حبك وعبادتك ، ولسنا مختارين . . ولذا قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾

(سورة الأحزاب ٧٢)

ومن هذه الآية يتبين عدل الله سبحانه وتعالى بالنسبة لخلقه . . ذلك أنه قبل أن يلزمه . . عرض عليه . . فمن لم يقبل منهم بقى مكرها . . ومن قبل مختارا كان عدلا أن يحاسب على اختياره .

إذن منهج الحياة كلها هو إختبار لحب الله فى النفس البشرية . . وإغراء الشيطان كله يتركز حول نقطة واحدة . . هى أن يجعل الانسان يترك حب الله . . ويذهب الى حب من هم دون الله مما لا يضر ولا ينفع . . وبذلك ينقل الانسان من رحمة الله الى خارج موجبات هذه الرحمة . . فيضل الانسان فى الأرض ويشقى لأنه يعمل بالقدرات البشرية . . دون الاستعانة بقدرة الله سبحانه وتعالى .

تلك هى القضية الأساسية للايمان . . وإذا حللنا أحداث الحياة كلها نجدها إما حب لله وطاعة له . . وإما حب لغير الله ومعصية لله . . فالذى

مثل المعصية .

يأكل المال الحرام إنما ارتفع فى نفسه أو زاد فيها حب المال على حب الله . . فانطلق الانسان وراء المال ونسى طاعة الله . . وأحب المال أكثر من حب الله سبحانه وتعالى . . والذى يفسد فى الأرض ارتفع عنده حب شهوات النفس الى أكبر من حب الله . . فاطلق لشهواته العنان ونسى الله . . وفى كل حدث من أحداث الدنيا يمر عليك فيه إختبار لحب الله فى النفس . . فأنت إذا تركت نفعا عاجلا كمال أو شهوة حرام فى سبيل الله . . فإن حبك لله سبحانه وتعالى يكون أكبر من حبك لما هو دونه . . وأنت إذا قضيت بالعدل . . وأنصفت مظلوما ووقفت مع الضعيف . . وراعيت الله فى مالك وبيتك . . فذلك هو حب الله فى نفسك دفعك ربما أن تعرض نفسك للأذى فى سبيل حب الله سبحانه وتعالى .

وإذا رجعنا الى قصة ابراهيم أبى الأنبياء خليل الله وإسماعيل . . ماذا نرى ؟ . . نرى أن ابراهيم عليه السلام قد رأى رؤيا فى المنام أن الله سبحانه وتعالى يأمره بذبح ولده إسماعيل . . فقال الله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام فى (سورة الصافات الآيات ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥) .

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

مثل المعصية

وهنا نقف وقفة . . نحن نعرف أن إبراهيم عليه السلام لم يرزق بإسماعيل إلا بعد فترة طويلة مرت عليه عدة سنوات ، وهو لم ينجب من زوجته سارة ثم تزوج بهاجر وهى مصرية ، وأنجب منها إسماعيل . . إذن هذا الطفل الذى جاء بعد سنوات عديدة يكون غاليا جدا على الأب . . وإذا أضفنا الى ذلك أنه بلغ معه السعى ، أى أنه كبر واقترب من مرحلة الشباب يكون تعلق أبيه به أكبر . . باعتبار أنه معين له فى شيخوخته .

حينئذ يأتى أمر الله فى المنام ليأمر إبراهيم أن يذبح ابنه . . ماذا يمكن أن يحدث فى هذه الحالة . . أب قد بلغ مرحلة الشيخوخة وابنه الوحيد . . وفى السن التى يعتمد فيها الأب على الابن . . ثم يأمره الله أن يذبحه . . أهناك اختبار لحب الله فى القلب أكبر من هذا الاختبار .

ولا يأمره الله سبحانه وتعالى أن يذبح بعيدا عنه . . حينئذ تكون المصيبة أهون . . بأن يتركه هو ويرحل ولا يرى شيئا . . ويأتى غيره لذبحه . . ولكن الله يأمر أن يقوم إبراهيم نفسه بذبح الابن . . ويمسك السكين بيده . . ويضعها على عنق ابنه ليذبحه .

اختبار كبير

أرأيت اختبارا أكبر من هذا لحب الله سبحانه وتعالى ؟ وهل من يمتثل لهذا الأمر . . يكون هناك شىء فى قلبه أقوى من حب الله . . ومن منا إذا قيل له إن الله يأمرك أن تذبح ابنك الوحيد . . وأنت شيخ لا يرجى لك بأسباب الدنيا أن ترزق بغيره . . من منا يمتثل لذلك . . إلا أن يكون

مثل المعصية .

حب الله فى قلبه أكبر من الدنيا بما فيها . . لأن الانسان قد يضحى بماله . . وقد يضحى بزوجته . . ولكن عندما تأتى مسألة الابن تكون عملية قاسية على النفس .

ومع ذلك أخذ إبراهيم ابنه . . وأخذ السكين . . وانطلق به الى حيث تتم عملية الذبح . . وهنا جاء الشيطان محاولا أن يغرى إبراهيم بالمعصية ، أو أن يثير إسماعيل على أبيه . . فكان رد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هو رميه بالجمار ليبتعد عن طريقهما . . ولم يستطع الشيطان أن يجد منفذا الى قلبيهما .

وانطلق إبراهيم عليه السلام الى المكان المحدد . . وأمسك بالسكين ليذبح إبنه طاعة لله سبحانه وتعالى . . ولينجح فى اختبار حب الله فى النفس . . ذلك الحب الذى يعلو كل شىء . . حتى على حب الأب الشيخ لابنه الوحيد .

حينئذ ينزل الملك بالكبش ليفدى إسماعيل عليه السلام . . ويعرف إبراهيم أن المسألة كانت اختبارا لحب الله فى نفس إبراهيم . . وأن إبراهيم عليه السلام نجح فى الاختبار .

ولم يكن هذا مثلا غير متكرر . . وإن اختلفت الظروف . . ولكنه مثل يتكرر فى الدنيا كل يوم . . ففى أول الاسلام . . وعند الهجرة . . ماذا حدث ؟ . . ترك المسلمون أموالهم وأولادهم وأسرهم وزوجاتهم ، وكل

ما يملكون فى مكة ، وانطلقوا الى المدينة مهاجرين الى الله . . تركوا كل متاع الدنيا من أجل الله ورسوله . . وكان هذا اختبارا لحب الله فى نفوسهم . . ولو أن أحدا قال الآن : هيا نترك أموالنا وأولادنا وزوجاتنا وننطلق مجاهدين فى سبيل الله . . لرأيت كل إنسان يتعلل لك بعذر . . فواحد يقول : إن أولاده صغار . . وآخر يقول يجب أن يبقى من أجل كذا وكذا . . فالجهاد والعبادة هما اختبار لحب الله سبحانه وتعالى فى النفس البشرية . . وإذا وصلت النفس البشرية الى أن حب الله ورسوله فوق حبهما للدنيا وما فيها من زوجة وولد ومتاع . . وصل الى أعلى درجات الايمان . . مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)

ليكون الحساب عدلا

والله سبحانه وتعالى قد خلق الناس مختارين ليكون الحساب عدلا . . ذلك فإنه رغم أنه رب العالمين . . إلا أنه لا يلزم بالتكاليف الايمانية إلا من آمن به . . ولذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى حين يتحدث عن الصلاة أو الصيام أو الزكاة أو العبادات . . فإنه لا يقول يا أيها الناس . . ولكنه يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ . . أى يا من آمنتم بى إلها واحدا أحدا . . هذا هو الطريق الى عبادتى ومرضاتى . . أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتحكموا بالعدل بين الناس . . الى آخر التكاليف التى يضعها الله سبحانه وتعالى بالنسبة لمن دخل فى عقد إيمانى مع الله . . أما من لم يدخل . . ولم يؤمن . . فإن الله لا يكلفه بشىء . . لأنه ليس بعد الكفر ذنب .

مثل المعصية .

ولقد شاء الله سبحانه وتعالى . . رحمة منه بعقولنا أن يضرب لنا أمثلة فى القرآن الكريم عن الانسان الذى يرى دين الحق وآيات الله فى الأرض . . ثم بعد ذلك يبتعد عنها . . ويتخذ من المعصية سبيلا . . فقال الله سبحانه وتعالى فى سورة الأعراف :

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(سورة الأعراف ١٧٥ ، ١٧٦)

وقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ ﴾

(سورة الحج آية ٧٢)

الله سبحانه وتعالى يبدأ المثل بقوله تعالى :

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ
(الأعراف ١٧٥)

مثل المعصية .

وهذا المثل لن نتحدث عنه فى خصوصية من الخصوصيات . . بل سنتحدث فى عموميته . . ذلك أن الأمثال فى القرآن الكريم إنما ضربت للناس جميعا . . وهى تتكرر وتقع فى كل زمان ومكان . . أبطالها بين الناس جميعا . . فإذا نظرت فى أى عصر فإنك ستجد فرعون موسى فى الحاكم الذى يريد أن يعبد فى الأرض من دون الله . . وستجد قوم نوح وقوم هود وقوم صالح . . وكل من استكبروا وعاثوا فى الأرض مفسدين . . وأكلوا الكيل والميزان . . والميزان هنا فى كل أمور الدنيا . . وكل حقوق البشرية . . والذين استكبروا وقالوا من أشد منا قوة . . الى آخر الأمثال التى ضربها الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم . . ستجدهم جميعا ممثلين فى أمم موجودة فى الأرض . . حتى الذين يعبدون الأصنام والأوثان . .

والذين يعبدون البشر . . والذين يعبدون المال أمثال قارون وغيرهم . . كل هؤلاء أمثلة متكررة أمامنا فى الحياة . . حتى نرى ونعى ونعرف . . فلا نقع فى الضلالة . . ولا نبتعد عن طريق الله . . ولا تخدعنا كل المغريات التى يحاول الناس أن يقدموها لنا . . وهى حق يراد به باطل .

ايات الكون

آيات الله فى الكون ظاهرة ومعروفة . . والعقل يهتدى اليها والفطرة تهتدى اليها . . وعدل الله سبحانه وتعالى شاء أن تكون آياته فى كونه منذ

بدء الخليقة حتى قيام الساعة ظاهرة للناس أجمعين . . فهذا الكون بكل ما فيه من معجزات ومن شموس وأقمار وسماء وأرض وجبال وبحار ونبات وحيوان وإنسان هو من آيات الله سبحانه وتعالى . . ولا يستطيع أحد أن يدعى مهما تكبر فى الأرض وعلا أنه هو الذى خلق الشمس ، أو خلق الأرض ، أو خلق النجوم ، أو خلق نفسه . . فتلك قضية تغلب كل كافر . . ولقد أشار الله سبحانه وتعالى الى ذلك فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة . . وبين أنه لا أحد يستطيع أن يدعى الخلق . . أو حتى وضع نظام الكون . . عندما كان الذى آتاه الله الملك يقارع الحجة بالحجة مع إبراهيم عليه السلام . .

فقال إبراهيم : ﴿ **ربى الذى يحيى ويميت** ﴾ فقال الملك المتكبر ﴿ **أنا أحيى وأميت** ﴾ (سورة البقرة ٢٥٨) مشيرا الى أنه قد يحكم على إنسان بالموت فكأنه يميته ثم بعد ذلك يعفو عنه فكأنه يحييه . . ولو أن هذه القضية تحتاج الى مناقشة لأن القتل هو نقض للبنية يجعل الروح تخرج من الجسد . . أما الموت فهو انتهاء الأجل فى الحياة مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **أفإن مات أو قتل** ﴾ (آل عمران ١٤٤) أى أن الله فرق هنا بين الموت والقتل .

ماذا حدث بالنسبة لابراهيم عليه السلام ؟ قال : ﴿ **فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت الذى كفر** ﴾ (سورة البقرة ٢٥٨)

مثل المعصية .

أى أنه عندما أشار إبراهيم عليه السلام الى نظام الكون فقط . . بل الى جزء يسير جدا من نظام الكون وهو شروق الشمس وغروبها . . فبهت الذى كفر . . وسقطت حجته ولم يستطع الاجابة .

إذن آيات الله فى الكون التى تدل على أنه الخالق موجودة وظاهرة أمامنا جميعا . . والايمان فينا بالفطرة . . وللعقل أن يناقش كيف يشاء . . وغاية ما يستطيع العقل أن يصل اليه . . أن هناك خالقا لهذا الكون وضع هذا النظام البديع . . وأن هذا الخالق سبحانه وتعالى قد سخر للانسان كل القوى الموجودة فى هذا الكون لخدمته . . وهذه القوى هى أقوى من الانسان ملايين المرات . . أى أن الانسان لا يستطيع أن يسخرها بقدراته هو . فلا يستطيع أحد أن يسيطر بقدراته على الشمس أو البحار أو الأمطار أو الجبال وغيرها . . ومع ذلك فكل هذه الأشياء تخدم الانسان وتعينه فى حياته فإنما هى مسخرة لخدمته من قوة أعلى هى التى خلقتها وهى التى سخرتها . . وحينئذ يهتدى العقل الى أن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون .

ولكى يعرف الناس ماذا يريد الله سبحانه وتعالى منهم مقابل ما سخر لهم من النعم . . كان لابد أن يرسل الله رسولا يبين منهجه فى الكون . . وأن يكون هذا الرسول مؤيدا بمعجزة تخرق قوانين الأسباب حتى يصدق الناس ويطمئنوا أنه مبلغ عن الله سبحانه وتعالى .

مثل المعصية

إذن آيات الله فى الكون هى معروفة ومحسة لنا جميعا . . ولكن الانسان يرى هذه الآيات وينسلخ عنها . . أى أنه يتركها واحدة بعد الأخرى . . يبدأ بالتخلى عن واحدة وينكر الثانية . . وينسى الثالثة ، وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا . فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير القلوب على قلبين : على أبيض مثل الصفا . فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض . والآخر أسود مرباد كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا »

عداوة الشيطان

يترك الانسان نعم الله واحدة بعد الأخرى . . ومعنى يتركها أى ينكرها . . فإذا كانت عنده نعمة الصحة ادعى أن ذلك من قدراته الذاتية ، لأنه يفعل كذا ويمشى على نظام كذا . . وإذا ذكر بالكون أخذ ينكر أن الكون مسخر له من الله . . وادعى أن ذلك إنما هو الطبيعة . . ثم بعد ذلك ادعى لنفسه أنه صانع الحضارة . . وصانع العلم ، وصانع التقدم ، الى آخر ما نسمعه .

حينئذ ماذا يحدث ؟ . . الذى يحدث أن الله سبحانه وتعالى يتخلى عنه . . ويتركه لقدراته التى عبدها . . أو للآلهة من البشر الذين عبدهم . . ماذا يحدث فى هذه اللحظة ؟ . . يكون الشيطان متربصا له . . لماذا ؟

مثل المعصية .

لأن الشيطان للبشر . . عداوته دفينة وعميقة منذ بداية عهد البشرية . . فهو يحقد على آدم . لأن الله كرمه عليه . . وأمره بالسجود له . . ويزداد حقدا لأنه هو السبب أو الوسيلة التى أغوى بها وقادته الى معصية الله والى الطرد من الجنة . . والى العذاب فى الآخرة .

والانسان مع الله فى حماية من الشيطان . . لماذا ؟ . . لأن الله يدافع عن الذين آمنوا . . ولأن الله يثبت الذين آمنوا . . ومن هنا فإن الشيطان لا يجرؤ على أن يقترب من عباد الله المخلصين . . لأن الله سبحانه وتعالى قد قال : ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾

(سورة الصافات ٤٠)

ولنضرب مثلا ولله المثل الأعلى . . إذا كان أمامى حمل ثقيل لا أستطيع أن أحمله . فماذا أستطيع أن أفعل لأقوم بهذا العمل . . بلا شك إننى سأحاول أن أستعين بمن هو أقوى منى ليعيننى عليه . . حينئذ لو جاء الرجل القوى وحملنا ذلك الحمل الثقيل معا فإننا نستطيع أن نرفعه . . فإذا كانت قوة الانسان الأقوى تعين . . فما بالك بقوة الله سبحانه وتعالى حين تكون معك . . حينئذ يصبح هذا الحمل لاشىء . . ولكنك إذا كفرت بالله ـ والعياذ بالله ـ واعتمدت على نفسك فماذا يحدث . . ستسقط أنت وما تحمل على الأرض . . وما تقوى عليه أبدا . .

كذلك غواية الشيطان . . ما دام معك الله . . فلن يستطيع أن يسقطك أبدا على الأرض حتى لو كنت تحمل أثقال الدنيا كلها . . فأنت

مثل المعصية .

تدخل على الحياة بكل أثقالها وفى قلبك الايمان الذى يجعل الصعب سهلا والمستحيل ممكنا . . يهون الله أمامك كل صعب . . ويفتح لك من أبواب رحمته ما يجعلك تحمل على كتفيك ثقلا واحدا من أثقال الحياة . . حينئذ لا يجد الشيطان الى نفسك مدخلا .

جــزاء الاحســان

ولكن ماذا يحدث إذا تركت الاستعانة بالله ، واستعنت بمن هم دون الله . . أولا يسلط الله عليك خلقه . . فذلك الذى تعتقد أنك قد أرضيته نفاقا ورياء وباطلا . . وارتكبت فى سبيله السيئات والمعاصى . . وظلمت الناس لترضيه تجده أول من ينقلب عليك ، ويقابل الاحسان بالاساءة . . ولأنه إحسان لم تقصد به وجه الله فإنه لا يعود عليك إلا بالسوء . . والأمثلة أمامنا كثيرة كل يوم من أناس يشكون الجحود ومقابلة الاحسان بالاساءة . . أقول لهؤلاء جميعا إنكم لم تقصدوا بإحسانكم وجه الله . لأن الله يقول :

﴿ هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ﴾ (سورة الرحمن ٦٠)

ولكن قصدتم إرضاء بشر فجاءكم الجزاء بمقاييس البشر .

ثم يسلط الله عليك هم الدنيا . . فتبدأ تحمل هم ما هو قادم أو ما هو غيب عنك . . وتحس بعجزك أمام الأثقال التى تتوقعها . . وبما أنك تعبد عقلك . . والعقل لا يجد لك الحل . . فإنك أحيانا تلجأ الى الانتحار . . وأحيانا أخرى تنغمس فيما يغيب العقل .

مثل المعصية .

والمهم فى هذا كله أن الدنيا كلها تنقلب الى شقاء داخل النفس . . يؤرقها ويعذبها .

وحينئذ يأتى دور الشيطان الذى اتبعك . . ويبدأ الشيطان غوايته بأن يخوفك من الدنيا . . يخوفك من رئيس أو حاكم ظالم فتعينه على ظلمه . . ويخوفك من رزق قادم فتمد يدك الى المال الحرام ، مدعيا أنك بذلك تؤمن مستقبلك ومستقبل أولادك . . ويخوفك من وظيفة أو منصب يزول عنك . . فتحاول أن ترضى رؤساءك بدلا من أن ترضى الله . . وتجد نفسك فى دوامة من الخوف مصداقا لقول الله :

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ ﴾

(آل عمران ١٧٥)

وتظل تدور فى دائرة الخوف حتى تفقد الحياة كل معنى لها . . وتجد نفسك غير آمن على حياتك وأولادك . . تحس دائما بالقلق يقتلك . . وترى فى الغد صورة مفزعة للحياة والمستقبل .

تلك هى عداوة الشيطان للانسان . . وعندما يأتى يوم القيامة يتبرأ الشيطان من كل هذا . . ثم يقول الله سبحانه وتعالى :
﴿ **فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين** ﴾ (سورة الأعراف ١٧٥) أى أن الشيطان زين له الباطل وجعله يغويه . . بأن أظهره له فى غير حقيقته . . فى صورة مزيفة ولكنها وردية . . متاع الغرور فى الدنيا . . كأن تملك

وتملك وتملك . . سيارة وعمارة وأرضا . . وكل هذا هو من أساليب الغواية . . لأنه لا أحد يملك شيئا إلا الله سبحانه وتعالى . . فنحن كما دخلنا الدنيا نخرج منها . . لا نحمل إلا حسناتنا أو سيئاتنا .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾

(سورة الأعراف ١٧٦) .

يقول الله سبحانه وتعالى إن هذا لا يحدث رغما عن مشيئة الله جل جلاله وتعالى وعلا . . ذلك أن الله شاء أن يعطى للانسان حرية الاختيار بين الحق والباطل . . وبين الطاعة والمعصية . . فبادىء بدء . . كون أن الانسان يملك القدرة على الاختيار وليس مقهورا كالشمس والجبال والأرض والحيوان . . كون هذا حدث فهذه مشيئة الله . . فى أن يعطيه حق الاختيار . . ذلك أنه لا شىء يحدث فى الكون ضد مشيئة الله سبحانه وتعالى . . بل كل ما يحدث فى الكون هو بمشيئة الله .

معنى المشيئة

الله سبحانه وتعالى يريد أن ينبهنا هنا الى حقيقة مهمة أنه سبحانه وتعالى ليس عاجزا عن مواجهة الكافرين . . ولا هو غير قادر على أن يهلكهم . . وأن كل ما يحدث فى الكون بمشيئة الله سبحانه وتعالى الذى شاء أن يخلق الانسان مختارا ليكون الحساب عدلا . . وتكون الجنة حقا والنار حقا . . فكل إنسان صالح لأن يفسد أو يصلح . . وفى هذا شاءت إرادة الله

مثل المعصية .

سبحانه وتعالى بعد أن بين له طريق الحق وطريق الضلال . . شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يتركه مختارا ليلقى جزاءه . . فإذا أتى الله أتاه مختارا دون جبر من الله سبحانه وتعالى . . وإذا اتخذ سبيل المعاصى تركه الله يمضى فيه ، لأن الله تعالى لا يهدى القوم الضالين والقوم الفاسقين .

إذن لا يعتقد أحد أن إنسانا يعصى الله تحديا أو عدم قدرة . . ولكنه يعصى الله سبحانه وتعالى لأن إرادة الله سبحانه وتعالى شاءت له أن يقدر على المعصية . . كما يقدر على الفلاح والايمان .

إذن لو شاء الله سبحانه وتعالى لرفعه بهذه الأيات . . ولفتح له طريق الايمان . . ولكن إرادة الله التى شاءت أن يخلق الانسان مختارا . . هى التى جعلت الانسان صالحا للمعصية وصالحا للتقوى .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ﴾

(سورة الأعراف ١٧٦)

وهنا يبين لنا الله لماذا تخلى عن هذا الانسان العاصى أو الكافر . . ذلك أنه أخلد الى الأرض فاعتقد أن الخلود والبقاء فى الأرض وحدها . . إما لأنه أنكر البعث والآخرة واعتقد أن الخلود والبقاء فى الفترة الزمنية التى يعيشها فى الأرض فعمل لها وحدها . . وهنا فهو لم ينظر إلا الى النفع المادى الذى يعطيه الحياة الأرضية دون ما نظر الى القيم فى الحياة . . أى أنه عمل من أجل الحياة فى الأرض وحدها . . وزاد على ذلك أنه فى هذا العمل لم يتبع الحق . . بل اتبع هواه . .

مثل المعصية .

وهنا لنا وقفة . . لماذا يذكرنا الله كثيرا بعملية إتباع الهوى . . أو هوى النفس . . ذلك لعدة أسباب . . منها أن الله سبحانه وتعالى قد جعل منهجه قائما على الحق . . والحق غالبا ما يكون ضد ما تهوى النفس . . فالنفس تهوى أن تأخذ ما لا حق لها فيه . . فالنفس تهوى مثلا أن تأخذ شقة جارك وماله وأثاثه وكل ما يمتلك . . وتضمه الى ما تملك . . والنفس تهوى الفائدة العاجلة . . وهى فى سبيل ذلك تكذب وتزور وتنافق . . دون أن ترى أثر ذلك كله على المجتمع وكيف أنها تفسده . . والنفس تهوى أن يكون لها الكبرياء فى الأرض ، وأن تحصل على كل ما تريد دون ما عناء أو مشقة .

هــوى النفــس

ولكن هل يستقيم المجتمع الانسانى بهوى النفس . . ماذا يمكن أن يحدث لو أطلقنا العنان ، وأبحنا لكل إنسان أن يسرق من المال ما يريد . . وأن يأخذ من حقوق غيره ما يشاء . . وأن يستعبد البشر ويسخرهم لخدمته . . ما الذى يمكن أن يحدث فى الكون . . إلا أن يتحول الكون كله الى مجموعة من العصابات والقتلة . . ويصبح كل إنسان غير آمن على حياته ولا بيته . . فبدلا من أن يسخر طاقاته لعمارة الأرض يسخرها لحماية نفسه . . وتصبح الدنيا كلها مجموعة من الفوضى بلا نظام وبلا أمن وبلا معنى . . لذلك وحتى فى الدول التى لا تتخذ من قيم الدين منهجا للحياة . . فإنها تضطر إضطرارا لكى تضع قوانين تعطى الحماية لكل فرد لتستقيم الحياة .

مثل المعصية .

إذن فالمسألة هنا ضرورة . . يلجأ الناس اليها ليقوم المجتمع . . وعندما يبتعد الناس عنها يفسد المجتمع . . ويتحكم فيه هوى النفس فيكثر فيه الظلم والرشوة والاختلاس والفساد والفاحشة . . والذى يتخذ هوى النفس وسيلة ينسى أن الله سبحانه وتعالى قد نظم الحياة ليحمى حق كل فرد فينا . . ذلك أنه حرم على مال غيرى ، ولكنه حرم مالى على المجتمع كله . . فالمستفيد من قوانين الله هو كل فرد فى المجتمع .

والله سبحانه وتعالى يعاملنا بحق الربوبية . . ولذلك فهو يرعى حقوقنا جميعا . . ولا يبيح لمسلم أن يسرق كافرا . . ولا لمؤمن أن يعتدى على عرض غير المؤمن . . فكل منا . . كل من خلق الله . . له حقوقه التى يجب أن يحترمها الجميع بصرف النظر عن درجة إيمانه . . ولذلك عندما سرق مسلم من يهودى وأراد الصحابة أن يمالئوا المسلم ويتهموا اليهودى بالسرقة نزل قول الله سبحانه وتعالى فى سورة النساء (الآيات من ١٠٥ ـ ١٠٩) :

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا

يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾

وكان هذا القول فيه حسم لئلا يحاول الناس ممالأة إنسان لأنه مسلم على حساب الحق . . ذلك لأن الله سبحانه وتعالى وهو الحق لا يرضى فى منهجه بظلم مهما كانت أسبابه . . بل أن من قوة منهج الله أنه يحفظ حقوق الناس جميعا . . حتى إذا جاء من لا يؤمن بهذا الدين ويقع فى خصومة مع من يؤمن به . . ووجد أن القضاء هنا لصالحه . . ووجد أن الدين لم يسلبه حقه ولم يبح ظلمه لأنه لا يؤمن به . . أحس بعظمة دين الله وبأنه دين الحق . . وربما دخل فيه واعتنقه . . فإذا لم يعتنقه كان هناك دوى فى المجتمع كله عن هذا الدين الذى هو مع الحق وحده ، دون النظر لأى اعتبار آخر . . وفى هذا يحس الجميع بأن هذا الدين هو دين الحق . . لم يضعه بشر . . ولم ينبع عن هوى حتى ولو كان ذلك لا يخدم أولئك الذين اتبعوه . . بل نبع عن الحق المطلق الذى لا يأتى إلا من الله سبحانه وتعالى .

إذن فأعدى أعداء منهج الله . . هو هوى النفس . . الذى يريد أن يقلب الباطل حقا . . وأن يعطى لكل إنسان ما لا يستحقه ظلما . . ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن ذلك الذى أخلد الى الأرض . .

واعتبرها هى دار الخلود ويعمل من أجلها فقط ، فلا يفعل شيئا إلا للمادة . . وزاد على ذلك بأنه اتبع هوى النفس الذى يهدم كل عدل فى المجتمع ويشيع الظلم والفساد . . حينما يفعل أى إنسان ذلك . . يكون قد ابتعد عن مشيئة الهداية لله سبحانه وتعالى فيتلقفه الشيطان ويراه يتخبط بين مادية الأرض وهوى النفس فيأخذ به الى الفساد . . ويتخذه أداة لظلم الناس والاعتداء عليهم وسرقة حقوقهم .

إنــه يلهــث

حين يصل الانسان الى هذه الدرجة يشبهه الله سبحانه وتعالى الى أنه أصبح مثله . .

﴿ فمثله كمثل الكلب . إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾

(سورة الأعراف ١٧٦)

نلاحظ أن الكلب هو الحيوان الوحيد الذى يلهث دائما . . أما باقى الحيوانات فإنها تلهث حين تكون عطشى فقط . . أى أننا إذا استعرضنا حيوانات الأرض نلاحظ أنها لا تلهث وتخرج ألسنتها إلا إذا كانت عطشى . . أما الكلب فانه يلهث فى جميع الأحوال ، سواء كان عطشان أو يملأ بطنه الماء . . جوعان أو شبعان . . فذلك الانسان الكافر شبه بالكلب الذى يضع فمه فى كل شىء قذر نجس . . وفى كل شىء له رائحة

نتنة . . تماما كذلك الكافر الذى يضع اللقمة فى فمه فلا يهمه من أين تأتى . . ويضع أنفه فى أشياء ويشترك فيها ولا يهمه إن كانت قذرة أو نظيفة . . تؤدى الى إيذاء الناس أو إفساد المجتمع . . فهو يقدم كل ما هو دنىء ورخيص ويقبله من أجل المال .

هذا هو الوجه الأول للتشبيه . . فالكافر يقوم بأعمال كثيرة لا يقترب منها مؤمن . . ويقوم بأعمال لا تتسم بالخلق . . ولا ترتبط بأى قيم . . ويتهم الناس بالباطل ويدعى عليهم كذبا . . ولا يبالى إذا كانت أعماله هذه ستؤدى الى خراب البيوت . . وتشريد أطفال صغار والقضاء على أناس شرفاء . . ونشر الشقاء والذل .

ولا يحسب المؤمن أنه لو ترك الكافر وحاله سيسكت . . ذلك أن المثل الذى ضربه الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ﴾

(سورة الأعراف ١٧٦) .

ذلك أنك لو حملت عليه وهاجمته فإنه يحاول أن يرد هذا الهجوم مستخدما أقذر الوسائل اللاأخلاقية . . يضع أنفه وفمه فى النجاسة ولا يبالى . . وإذا تركته هاجمك هو . . فالكافر لا يطيق المؤمن . . لأنه فى داخل نفسه هناك شىء يؤرقه . . هناك شىء يحس أنه يغلى فى داخله إنه يرى فى هذا المؤمن الخير الذى لم يستطع أن يحمل نفسه عليه . . لذلك فإن الكافر

لا يمكن أن يترك المؤمن دون أن يحاول أن يهاجمه أو يشوهه . . ويكفى لكى تعرف ذلك أن تأتى لبعض الناس الذين يفعلون المعاصى وضع بينهم إنسانا لا يفعلها . . إذا كان بعض الناس يشربون الخمر وجلس بينهم واحد لا يشربها . . انقلبوا جميعا عليه يحاولون أن يلحقوا به أذى بالكلام ، وأحيانا بالفعل لأنهم لا يطيقون وجوده . . كذلك إذا وجد الشريف وسط اللصوص ، وجلس بينهم فى عمل واحد فإنهم يحملون عليه جميعا حتى ولو لم يهاجمهم هو . . ولعل الايمان الذى خلق فينا بالفطرة يكمن داخل نفوسنا . . وهذا الايمان من النفس التى رأت الله فى عالم الذر حينما أشهد الناس على أنفسهم وقال :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾

(سورة الأعراف ١٧٢)

هذه النفس وصاحبها يرتكب المعصية تحس بهول ما ستلقاه . . فتوجد فى داخله صراعا يجعله يريد أن يفتك بكل مؤمن . . ويصور الله سبحانه وتعالى هذه الصورة فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾

(سورة الحج ٧٢)

مثل المعصية

إذن فالكافر لا يترك المؤمن . . بل هو يحاول بقدر الامكان . . إما أن يجعله يتبع طريقه . . أى طريق الكفر . . أو يهاجمه بشتى الوسائل . . لأنه يحس إحساسا داخليا بأن المؤمن أفضل منه . . ويحس إحساسا نفسيا بالذنب وهو يرى المؤمن المطمئن الثابت الذى لا تهزه أحداث الدنيا .

لعلهم يتفكرون

وفى أى مجتمع تجد دائما الكفار أو غير المؤمنين يحاولون أن يبحثوا عن عورات المؤمنين ليشوهوا صورتهم أمام الناس . . بينما لو كان هناك إنسان كافر أو ملحد . . فإنه لا أحد يتتبعه . . بل إن المجتمع يحاول أن يبرر له معاصيه وجرائمه . . وينسبها تارة الى حالة نفسية . . وتارة الى ظروف قاسية . . محاولا بذلك أن يجد له المبرر للمعصية .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى : **فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** » . .

وهنا يريد الله سبحانه وتعالى أن يختم المثل الذى ضربه لنا عن المعصية والكفر . . وعن العاصين والكافرين . . فيقول مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقصص عليهم هذه القصة التى تشرح لنا كيف تتم الغواية وكيف يضل الانسان ويخرج من الايمان الى الكفر . . لعلهم يتفكرون فيها ويعرفون أسبابها . . فإذا أحس أحدهم أنه بدأ ينصرف عن آيات الله ويبتعد عنها . . يعرف أن هذا هو الطريق . . أو أولى خطوات الطريق ليفتنه الشيطان فى الدنيا ما دام قد دخل اليها غير متسلح بالايمان . . ولا مستعين بقدرة الله سبحانه وتعالى .

حينئذ نكون قد وصلنا الى الهدف أو الغاية من المثل الذى ضربه الله سبحانه وتعالى لنا . . ذلك المثل الذى يرينا أننا لابد أن نتمسك بمنهج الله فى الكون ونلتفت الى آياته وتعاليمه . . وننظر الى ما يحدث أمامنا بفكر إيمانى . . فإذا أتى الناس هذا ثم انسلخوا عنه وتركوه . . فإننا لابد أن نعرف أن الشيطان سيتبعهم . . وأن مشيئة الهدى والعون من الله سبحانه وتعالى ستتركهم لأنفسهم . . وحينئذ يحسون أن الأرض . . أو هذه الحياة القصيرة هى الخلود . . ويفقدون إيمانهم بالآخرة . . وما داموا قد فقدوا الايمان بالآخرة فإنهم سيصبحون فى هذه الحالة لا قيم عندهم . . يتبعون هوى النفس دون أى شىء آخر . . ويصبح مثلهم كمثل الكلب الذى يلهث إذا هاجمته . . ويلهث إذا تركته . . يستخدمون كل وسيلة مهما تكن غير شريفة وغير نظيفة . . ويصبح فى داخلهم غل لموكب الايمان . . فإذا هوجموا استخدموا جميع الوسائل فى الرد دونما رادع من خلق أو قيم أو دين . . وإذا تركوا وشأنهم هاجموا مواكب الايمان وتعرضوا لها بالزور والبهتان . . ذلك مثل المكذبين بآيات الله .

ولعل هذه الصورة تكتمل بقصة الخير والشر على الأرض . . تلك القصة التى ضربها الله سبحانه وتعالى لابنى آدم أول ذرية من البشر والتى ارتكبت فيها أول جريمة قتل فى تاريخ البشرية . . وعن هذا المثل يحدثنا الله . . وهذا هو موضوع الفصل القادم .



الفصل الثاني

مثل بني آدم

مثل بنى آدم .

مثل الخير والشر فى هذه الدنيا لا يجب أن يؤخذ بمقاييسنا نحن . . بل لابد أن يؤخذ على اطلاقه . . لأن كل انسان منا خلق صالحا لفعل الخير . . ولارتكاب الشر . . أما ما يقع من الله سبحانه وتعالى فهو خير . . لكن بعض الناس يأخذ الشر بمقاييسه هو . . فمثلا اذا لم يذاكر ورسب فى الامتحان . . اعتبر هذا شرا . . بينما هو خير عميم . . لماذا ؟ . . لأنه هب ان كل انسان لم يذاكر ونجح فى الامتحان . . ماذا سيحدث ؟ . . سيترك الجميع المذاكرة ولا يتم تحصيل للعلم ولا تقدم فى الحياة الدنيا . . ولذلك فان من جمال الأسباب فى الحياة . . أن يرسب من لا يذاكر . . ومن جمال الأسباب فى الحياة الا يجد قوت يومه من لا يعمل . .

ومن جمال الاسباب فى الحياة أن تتخلف الأمم التى ينتشر فيها الفساد والسرقات . . ومن جمال الأسباب فى الحياة ان تنتج الأرض وتعطى أحسن محصولاتها لمن يعتنى بها فى البذرة وفى الرى وفى كل مستلزمات الزراعة . . وذلك هو جمال أسباب الحياة الذى يضمن استمرار التقدم للبشر . . واستمرار الحياة فى الكون . . وان يعمل الناس فى عمارة الأرض كما يريد الله سبحانه وتعالى . . وليس هذا شرا . . بل هو خير لأنه اذا تساوى من يعمل ويأخذ بالأسباب ومن لا يعمل . . ضاعت الحكمة من الكون وضاع من البشرية التقدم . . لذلك فان من يهمل أرضه مثلا . . من الخير ألا تعطيه محصولا . . ومن يهمل عمله من الخير الا يعطيه دخلا . . وهناك فى الكون من الأسباب ما ينفعل لك . . وما ينفعل بك . . فما

ينفعل لك يتم دون أى جهد شخصى . . ودون أى تفرقة بعدل الله . . فالشمس تشرق وتعطى أشعتها للجميع : المؤمن والكافر . . دونما جهد من أى منهما . . والهواء يتنفسه العاصى والمطيع . . دون أن يحبس عن احدهما ويعطى للاخر .

اما الأسباب التى تنفعل بك . . فهذه بقدر ما تعطيها . . بقدر ما تعطيك . . بلا ظلم . . فاذا اعتنيت بالأرض أعطتك المحصول الجيد . . واذا اعتنيت بالصناعة لاقت رواجا . . واذا اعتنيت بالتجارة كان ربحك أكبر . . بقدر ما تعطى بقدر ما تأخذ والله يزيد على هذا . . ويبارك لمن يشاء . . ذلك لأن الاسباب فى الكون لا تعمل بعيدا عن مشيئة الله . . بل هى خاضعة لهذه المشيئة التى لا قيود عليها . . فلا قيود على طلاقة قدرة الله تبارك وتعالى .

إلا أن قصة ابنى آدم والقربان الذى قرباه إلى الله سبحانه وتعالى . . والنهاية التى انتهت بها القصة بأن قتل الأخ أخاه . . فيهما مثل ايمانى على الخير والشر . . كجانبين من جوانب الحياة . . يستطيع الانسان أن يستخدم أيا منهما .

قال الله تعالى :

﴿ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ

إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾

(سورة المائدة ٢٧ - ٣٠)

هذه الآيات الكريمة تضرب لنا مثل ابنى آدم . . أو تحكى لنا قصتهما . . ماذا حدث ؟ عندما بدأت البشرية فى مزاولة مهامها على الأرض ، ونزل آدم وزوجه من الجنة وسكنا هذه الأرض . . كان الله سبحانه وتعالى يرزقهما بذكر وأنثى فى كل حمل حتى تبدأ عمارة الأرض . . وكان الذكر والأنثى اللذان جاءا فى حمل واحد لا يتزاوجان . . وانما تتزوج الأنثى من الحمل الأول بالذكر من الحمل الثانى . . والذكر من الحمل الثانى بالأنثى من الحمل الأول . . هكذا علم الله آدم . . والحكمة فى هذا لم تكتشف الا فى الفترة الأخيرة . . كل شىء فى الدنيا تأتى بشبيه له قريب منه ينشأ الناتج ضعيفا . . وكلما بعدت كان الناتج قويا . . هذه حكمة الله التى أودعها فى خلقه . . ولذلك فان زواج الأقارب اذا توالى ينتج سلالة ضعيفة . . وذلك ينطبق على الحيوان وعلى النبات . . وهذا ما نعرفه الآن باسم عملية التهجين . .

على اننا نأتى بالبقرة من أمريكا مثلا ونقوم بعملية تهجين من البقر المصرى تنتج سلالة قوية . . فاذا طمعنا بعد ذلك ولم نعد التجربة . . باعتبار ان البقر الذى لدينا قوى . . فانه فى هذه الحالة تنشأ سلالة

ضعيفة . . تتوالى فى النزول . . فاذا أتينا مثلا ببذرة البطيخ الشيليان من أمريكا . . وزرعناها فى تربة مصر فإننا نجد المحصول جيدا وعظيما . . فإذا اخذنا من ناتج المحصول وزرعنا دون ان تتم عملية التهجين هذه . . يبدأ المحصول يضعف بالتدريج .

الله سبحانه وتعالى أراد ان يلفتنا إلى هذه الحقيقة فى قصة ابنى آدم . . بانه حتى فى أول الخلق تمت المباعدة بقدر الاستطاعة بين من هم من حمل واحد . . فكان الابن لا يتزوج أخته التى هى معه فى الحمل نفسه . . حتى ينشأ الجيل الذى بعدهما قويا . . ولكننا لم نلتفت لهذا الا اخيرا . . كان ذلك أيضا من حكمة تحريم زواج الأخوات . . زواج الأخ وأخته . . وابنة الأخ وابنة الأخت . . وما شرعه الله سبحانه وتعالى فى الاسلام .

مـاهى القصـــة

ابنا آدم هابيل وقابيل . . كان على كل واحد منهما أن يتزوج من الأخت التى جاءت فى الحمل مع الأخ الآخر . . فماذا حدث ؟ . . قابيل وجد أن الأخت التى جاءت مع هابيل فى حمل واحد دميمة . . أو غير مقبولة الشكل ، فرفض ان يمتثل لما علم الله آدم من الحكمة . . وثار . . وقال لا بد أن أتزوج أختى التى جاءت معى فى حمل واحد . . ضاربا بما علم الله آدم . . وضاربا بتعاليم الله التى كانت تقضى بالفصل بين الأخوين والأختين فى حمل واحد .

مثل بنى آدم .

وذهب الأخوان قابيل وهابيل إلى آدم ليحكم بينهما . . فقال آدم : ان هذه هى الحكمة التى علمها الله له . . ولكن قابيل الذى كان يتهم أباه بالتحيز لهابيل رفض هذا الكلام . . وغرته قوته على أن يحاول فرض الأمر متجاهلا بذلك تعاليم السماء .

ولما اشتد الخلاف ورأى آدم أنه لا فائدة أراد أن يرد الأمر إلى الآمر . . أو إلى الله سبحانه وتعالى . . واقترح عليهما ان يقدما قربانا إلى الله . . وما يحكم به الله . . أو من يتقبل قربانه يكون هذا هو صاحب الحق . . وفى هذا يكون احتكام إلى الله فى أمر من أمور التشريع . . ووافق الأخوان على ذلك . . ذهب هابيل وأحضر أحسن ما عنده كبشا سمينا من أحسن ما يملك وجعله قربانا لله . . وذهب قابيل وأحضر حفنة من ثمرات لم يتخيرها وجعلها قربانا . . وهذا يدل على ان التقوى فى قلب هابيل كانت أكبر . . وأنه عندما قدم قربانا إلى الله اختار أحسن ما عنده . . لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا . . أما قابيل فقد غرته بشريته وقوته . . ومادام ظاهرا يستطيع ان يفرض الأمر الواقع ، فلماذا العناية ؟ ولماذا التقرب ؟ ولذلك جمع بعض ثمرات باهمال وجعلها قربانا .

ووقف الاثنان ينتظران حكم الله فى القربان الذى قدماه اليه . . وجاء حكم السماء فنزلت النار ، وأكلت قربان هابيل ، علامة على التقبل من الله سبحانه وتعالى . . وأن الله يؤكد شرعه من أن ابن الحمل الأول يتزوج من ابنة الحمل الثانى . . وابن الحمل الثانى يتزوج من ابنة الحمل الأول . . ولكن هذا الحكم لم يعجب قابيل . . ولم يرض بحكم الله . . وثار وقال

لأخيه : إن لم تخضع لرأيى فسأقتلك . . وهنا رد هابيل بأنه لاذنب له فيما حدث . . ذلك ان الذى تقبل القربان والذى حكم ليس هابيل . . ولكنه الله سبحانه وتعالى . . ومن هنا قال هابيل انما يتقبل الله من المتقين . . فلماذا تريد ان تقتلنى وأنا لا ذنب لى فى هذا ؟ والله سبحانه وتعالى هو الذى تقبل . . وقد تقبل منى لأنى تقى . . وهو يحب المتقين ويتقبل منهم . . وكيف تمت التقوى ؟ . . وكيف كانت ؟ . . ولماذا كان هابيل تقيا ؟ . . لأنه رضى بحكم الله أولا . . فى أن يتزوج اخته من الحمل الثانى . . ورضى بحكم الله ثانيا فى القربان الذى قدمه . . ولذلك فهو يتبع تعاليم الله سبحانه وتعالى . . ويعمل وفق مرادات الله . . انه لا يحاول ان يشرع لنفسه بغير ما قضى الله . . ولا هو يحاول ان يعدل فى أحكام الله وفق هواه البشرى . . بل هو راض ومتبع لمنهج الله . . وهذه هى سمات المتقين .

رضى هابيل بأن يتزوج أخته من الحمل الآخر . . فكافأه الله بان جعلها جميلة تسر الناظرين . . ورضى بالتحكيم لله بالقربان ، وقدم أحسن ما عنده . . فتقبل الله منه

يمثل ثورة البشر

ولكن هل يرضى قابيل بهذه النتيجة ؟ . . لا . . لا بد أن يمثل ثورة البشرية التى تحكم هوى النفس على المنهج الالهى . . ولابد أن تغره قوته . . ويعتقد أنه يستطيع أن يفرض ما يشاء مادام قويا . . وكم من الأقوياء فى الدنيا يحس أنه بقوته التى مكنه الله منها يستطيع ان يفرض

مايشاء ، ويعبث فى الأرض ضاربا بمنهج الله . . ليحقق ما تريده نفسه رغم ما فى ذلك من سلب حقوق الآخرين . . والاعتداء عليهم وظلمهم .

وهنا نأتى للحكمة الخالدة « إلىَّ بسطت إلىَّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك . انى أخاف الله رب العالمين » . . هنا يقول بعض الناس ان هذه سلبية من هابيل . . إذ كيف يترك أخاه ليقتله دون أن يدافع عن نفسه . . ولكنها فى الحقيقة لا تمثل سلبية . . ولكنها تحكى ايمانا ويقينا . . فهابيل يريد أن يثير نوازع الخير فى نفس اخيه . . هل هذا الخير يتغلب على الشر الذى ملأه . . وهو بذلك اتخذ أول خطوة يتخذها انسان مؤمن اذا اراد انسان آخر به سوءا فى أن يحاول اثارة الخير فى نفسه . . فتجد الانسان المؤمن اذا اراد انسان آخر به سوءا . . فانه يذكره بالله وقدرته عليه . . ويذكره بالخير وماله من جزاء . . وكثيرا ما نسمع من يقول لانسان يريد شرا اتق الله . . أو يذكره بالله سبحانه وتعالى . . علَّ هذه التذكرة تجعله يتردد أو يفيق مما هو فيه . .

يضاف إلى ذلك انك إذا قلت لأى انسان يريد بك شرا . . مهما أردت بى الشر فلن أمد اليك يدى بالأذى . . فى هذه الحالة وفى أحيان كثيرة تسكن نفسه وتبتعد عن الشر الذى أراده . . مضافا الى ذلك صلة الرحم التى بين الأخوين . . والتى غالبا اذا قابل أحدهما اساءة الآخر بالاحسان تجعل الثانى يفيق ويبتعد عن الشر الذى يريده . . وهكذا لجأ هابيل كانسان مؤمن إلى محاولة اثارة عوامل الخير فى نفس قابيل علها تردعه عما يريد ان يفعله وعن جريمة القتل التى يريد أن يرتكبها . . ثم يرفع هابيل الأمر إلى

الله سبحانه وتعالى ويذكر أخاه به فيقول :

﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(سورة المائدة ٢٩)

أى انه يذكر أخاه بان جريمة القتل التى سيرتكبها جزاؤها كبير عند الله . . ذلك انه من يقتل انسانا فانه يحمل فوق جريمة القتل كل اثام المقتول وذنوبه ان كانت له اثام . . ويبقى فى النار مخلدا فيها . . ذلك ان الله سبحانه وتعالى لا يسمح لأى انسان بالعبث فى خلقه . . ولذلك فان الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا ﴾

(سورة النساء ٩٣)

. . ويقول جل جلاله :

﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾

(سورة المائدة ٣٢)

. . وفى هذا يريد الله سبحانه وتعالى أن يخبرنا بالذنب العظيم للقاتل . . وأنه قد حرم قتل النفس البشرية الا بما شرع الله . . كأن يكون

القتل قصاصا على جريمة قتل ارتكبت بغير حق . . أو ان يكون لمنع الفساد فى الأرض . . وفيما عدا ما شرع الله سبحانه وتعالى فى قتل النفس . . فان القتل ذنب عظيم . . ولذلك حرم الله على عباده قتل النفس الا بالحق . . أى الحق الذى شرعه الله كقصاص على جريمة ارتكبتها هذه النفس .

أيـن الخـــير ؟

ولكن بالرغم من هذا التحذير . . ومحاولة اثارة كوامن الخير فى نفس قابيل وتذكيره بالله وبالجزاء الذى ينتظره . . فان هذا لم يجعله يرتدع . . ذلك ان قوته وعبادته لنفسه وغروره بانه هو الأقوى ، وهو الذى يستطيع أن يقتل . . كانت كل ما يفكر فيه . . يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾

(سورة المائدة ٣٠)

وهنا لفتة من الله سبحانه وتعالى إلى أن النفس جبلت على الخير بفطرتها . . وأن الانسان هو الذى يطوعها ويقهرها لفعل الشر . . ولذلك فإن مسألة القتل قد احتاجت من قابيل جهدا ليطوع نفسه ويدفعها إلى الشر . . تماما كما يحاول كثير من الناس أن يذهب ليتناول كمية كبيرة من الخمر مثلا قبل ان يرتكب جريمة حتى تغيب هذا الخمر عوامل [illegible]ير فى نفسه . . فيقدم على الجريمة فى لحظة غياب الخير . . أو أن يظل المجرم فى صراع نفسى وعقلى قبل الاقدام على جريمته . . يحاول أن يثير نوازع الشر فى نفسه . . وأن يجعل الغل والحقد فى قلبه . . حتى يستطيع أن يرتكب

جريمته دون أن يتردد . . وكثير من الذين يتخذون سبيل الجريمة نجد أنه فى المرة الأولى يحتاج إلى تطويع نفسى كبير حتى يستطيع ان يصبح قادرا على ارتكاب جريمته . . فاذا فعل ذلك تركه الله سبحانه وتعالى للشيطان يزين له الجريمة . . ويمنيه بأنه سيفلت من العقاب الدنيوى . . وأنه سيحصل على مميزات كذا وكذا حتى يرتكب جريمته . . ونادرا ما يرتكب أى انسان جريمة الا وهو واثق من أنه سيفلت من العقاب الدنيوى على الأقل . . هكذا يزين له الشيطان . . ثم بعد ذلك تقع الجريمة وتنكشف . . ويخسر الانسان الدنيا والآخرة . . على ان الانسان الذى يفعل ذلك هو انسان قصير النظر . . يمتاز بالغباء . . ذلك أن الذى يفكر فى العقاب الدنيوى فقط . . انما يفكر فى شىء زائل وقتى . . ويفرح بشىء لا ينجيه الا لفترة مؤقتة طالت أو قصرت . . لأنه مهما اختفى عن أعين الناس ومهما استطاع بفكره وبمعونة الشيطان ان يهرب من البشر . . فانه لا يوجد مكان لا يراه الله فيه . . ولا يوجد وقت يغفل الله فيه عنه . . ولذلك فانه إن غفلت البشرية كلها . . فان الله سبحانة وتعالى لا يغفل . . وما قيمة البشرية وهو مغادرها . . وكيف الهروب من الله وهو ملاقيه . . والعقاب فى الدنيا على أساس قدرات البشر . . والعقاب فى الآخرة بقدرة الله سبحانه وتعالى . .

وفرق هائل بين القدرتين . . ولذلك لا يفرح انسان بأنه أفلت من العقاب البشرى ويحسب ان هذا فوز . . بل هو خسران مبين . . لانه إن افلت فإلى أين يذهب ؟ وأين يختفى ؟ . وإلى أى مكان يهرب من لقاء الله ؟

قتذن فقد كان تذكير هابيل لقابيل بعاقبة جريمة قتله بأنه سيكون مخلدا فى النار هى فطنة المؤمن التى لا تخيب . . وهى ذكاء المؤمن الذى يعرف حقيقة الدنيا والآخرة . . وكان عدم اكتراث قابيل بهذا التذكير . . هو غباء الكافر . . الذى يعتقد ان العقاب الدنيوى هو نهاية المطاف . . وانه إن افلت منه قد أفلت نهائيا من العقاب . . واذا كانت النفس البشرية قد جبلت على الخير ، فان الانسان يطوعها للشر . . ولذلك فالأصل فى الانسان . . والاصل فى الكون هو الخير . . ولكن الانسان بقصر نظره واغتراره بقوته وقدراته هو الذى يدفع ويطوع هذه النفس للشر . . وهى صالحة لهذا وصالحة لذلك . .. حسب تطويع صاحبها لها .

على أننا هنا لابد لنا من وقفة . . ذلك ان الله سبحانه وتعالى يريد ان يذكرنا وينبهنا إلى ان ذلك الضعيف الذى لا يستطيع ان يدافع عن نفسه ضد الذى يحاول ايذاءه أو الاعتداء عليه . . فان الله سبحانه وتعالى يقتص له . . ذلك ان الله قائم على خلقه . . قوام على عباده بالعدل والقسط . . وقد شاء عدل الله سبحانه وتعالى ان يعطى لعباده كلهم حقوقا متساوية . . وان يكون هو القائم أو القوام على هذه الحقوق . . بحيث اذا اعتدى قوى على ضعيف مستخدما بذلك قوته التى وهبها الله له فان الله يقتص منه . . فلا يحسب إنسان مهما يكن قادرا أو قويا بأنه سيفلت من العقاب . . ولا يحسب انسان مهما يكن ضعيفا وغير قادر أن الله لن يقتص له . . فعدل الله ماض فينا جميعا . . وكلنا عبيده . . لنا عنده نفس الحقوق . . وعلينا نفس الواجبات . . وذلك حتى تطمئن نفس الانسان الضعيف إلى ان ظلم

القوى له لن يجعله يفلت من العقاب . . وانه اذا كان هناك جبار فى الأرض . . فجبار السموات أقوى وأقدر .

الخير . . والشيطان

وتمضى الآية الكريمة . .

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(سورة المائدة ٣٠)

أى انه حين استذله الشيطان . . ونسى الله . . وارتكب جريمة القتل خسر الدنيا والآخرة ولم يكسب شيئا . . ففى الدنيا باء بغضب من الله ، وذلك الغضب يجعل رحمة الله سبحانه وتعالى تبتعد عنه . . فينطلق من اثم إلى اثم لا يكسب شيئا . . وخسر الآخرة ، لأنه اصبح من اصحاب النار ، فلم يكسب الا الخلود فى عذاب النار دون رجاء فى الرحمة . كوينئذ تأتى الحكمة الخالدة التى ترى هذا الانسان الذى اغتر بنفسه انه لا يساوى شيئا . . وان قوته وعلمه وكل مايملكه هو لا شىء عند الله سبحانه وتعالى . . وان الله قد يعطى من هو أضعف منه من العلم والقوة . . مالم يعطه لهذا الانسان الذى غرته قدراته وقوته على معصية الله وارتكاب الاثم . . فيقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾

(سورة المائدة ٣١)

مثل بنى آدم .

حينما تمت جريمة القتل بقيت الجثة أمام قابيل لا يعرف ماذا يفعل بها . . لقد كانت هذه أول جريمة قتل فى تاريخ البشرية . . وأول انسان ينتقل من الحياة إلى الموت على ظهر الأرض . . ماذا يفعل قابيل فى الجثة . . هل يتركها هكذا فى العراء ؟ . . أم ما الذى يحدث . . فتلفت قابيل حوله وهو حائر عله يستطيع ان يهتدى إلى حل . . أو يجد طريقة يبعد بها جسم الجريمة الذى يذكره بالاثم الكبير الذى ارتكبه . . يبعدها عن نظره . . يواريها بعيدا . . فقد كان منظر الجثة والدماء يصرخ فى وجه قابيل صراخا داخل النفس وان لم يكن خارجها . . وكلما التقى نظره بجثة أخيه اراد ان يبعده عنه . . لأن الجريمة تؤرق المجرم كلما تذكرها . . ولذلك فهو يحاول ان يكبتها فى نفسه ، وينحيها بعيدا . . وأنت اذا أردت ان تهيج النفس البشرية فذكر الانسان باثم ارتكبه أو بفعل لا يقره الله قام به . . حينئذ تحس النفس البشرية بضيق . . لأن هذه النفس رأت الله وهى تعلم ما ينتظرها من عقاب .

حينئذ دار قابيل بنظره حول المكان الذى ارتكب فيه جريمته محاولا ان يجد وسيلة للتخلص من جثة أخيه أو إبعادها عن نظره . . فماذا حدث ؟ . . ارسل الله سبحانه وتعالى غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه . . كأن الله سبحانه وتعالى يريد ان يقول لقابيل . انت الذى غرتك قوتك . . وغرتك مقدرتك . . وارتكبت جريمة القتل وعصيت . . سأريك ما هى قوتك وماهى قدرتك . . وسأجعل الغراب الضعيف الذى لا يضاهيك فى الحجم ولا يقترب منك فى القوة . . سأجعل هذا الغراب

الضعيف معلما لك . . يعلمك لتعرف قدر نفسك . ولتعرف أنك لا تساوى شيئا . . أنت ارتكبت جريمة القتل هذه اعتزازا بقوتك . . وغرورا بمقدرتك . . ولكنك عجزت أمام سوءة اخيك بعد أن اصبح جثة هى عورة لابد ان تدارى . . ووقفت وأنت المغرور عاجزا تتطلع هنا وهناك لا تدرى ماذا تفعل . . وأنا أرسل اليك هذا الغراب ليكون أستاذا لك . . وقادرا فوق قدرتك . . فيعلمك كيف توارى سوءة أخيك ، حتى تعرف ان القوة لله وليست لأحد . . وأن المغرور بما أعطاه الله عاجز تماما أمام قدرات الله . . وليكن هذا لك آية . . لتعلم انه لا علم الا ما علمه الله لك . . ولا قدرة الا بما اعطاه الله لك

وتنبه قابيل للحكمة

وحينئذ يتنبه قابيل إلى الحكمة من ارسال الغراب أو ينبهه الله سبحانه وتعالى إلى إرسال الغراب ليريه كيف يوارى سوءة أخيه . . فيقول :

﴿ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ ﴾

(سورة المائدة ٣١)

وحينئذ ينبه الله قابيل إلى الحكمة من ارسال الغراب ويتنبه لها . . ويعترف بعجزه أمام هذا المخلوق الضعيف . . ويتنبه للجريمة التى ارتكبها . . ولغرور النفس الذى سيطر عليه فيقول : ياويلتى ويعرف ان الويل والعذاب هو الذى ينتظره . . ثم يعترف بعجزه أمام العلم الذى اعطاه الله سبحانه وتعالى للغراب فيقول أعجزت أن أكون مثل هذا

الغراب ؟ . . أى أننى وأنا قوى الذى اعتقدت أننى بقوتى استطيع ان افرض ما أريد . . وأن أحقق ما أشاء . . اكتشفت فجأة اننى عاجز . . وعاجز أمام من ؟ . . أمام من هو أقل منى قوة وقدرة . . أمام هذا الغراب . . حينئذ عرف قدراته الحقيقية وهو انه عاجز مهما خيل اليه انه قوى . . وأنه مهما بلغ من العلم . . أنه لاشىء مقابل ما يعطيه الله من علم لعدد من مخلوقاته . . وهذا العجز الانسانى اراد الله سبحانه وتعالى ان يظهره لنا حتى لا نحس بأننا نملك القوة والقدرة لنعصى الله . . مدعين أنها قدرات ذاتية . . فالانسان فى نفسه حقيقة عاجز عن أشياء كثيرة . . وهو يستطيع ان يفعل . . أو يدعى انه يستطيع ان يفعل مجازا . .

فالانسان عاجز أو غير قادر حتى على نفسه . . حتى على جسده . . من منا يستطيع ان يأمر قلبه بأن يتوقف عن النبض . . أو يأمره اذا توقف ان يعود للنبض مرة أخرى . . من منا يستطيع ان يأمر رئتيه بعدم التنفس . . كأن يقول قررت ألا أتنفس لمدة ساعة حتى تستريح رئتاى . . ثم أعود إلى التنفس . . من منا يستطيع ان يقول لمعدته اهضمى هذا الطعام . . أو لا تقربى هذا الطعام الذى نزل اليك . . من منا يستطيع أن يقول لكبده اعملى أو توقفى عن العمل . . بل إننا سنترك هذه الحركات غير الاختيارية . . لنناقش الحركات الاختيارية . . انت تمشى بقدميك . . أو هكذا تعتقد على الأقل . . ذلك انك حين تريد ان تمشى فانك تقوم وتمشى . . وحين لا تريد ان تمشى تجلس . . ولكنك اذا نظرت إلى أحد المصابين بأمراض مختلفة فى العمود الفقرى والأعصاب والمخ وغيرها . .

تجد ان له قدمين ولكن لا يستطيع ان يمشى . . لو أن المشى قدرة ذاتية من الانسان لو أنه لا يعتمد على قدرة الله . . ولكنه نابع من الشخص نفسه . . أكان من الممكن ان يكون لأنسان قدمان ولا يستطيع ان يمشى ؟ . . أكان من الممكن والعينان وسيلة الابصار ان يكون لانسان عينان مفتوحتان ولكنه لا يرى ؟ . . أكان من الممكن ان يكون لأنسان يدان كاملتا النمو ولكنه لا يستطيع ان يحركها ليفعل بها شيئا ؟ . . أكان من الممكن ان يكون لانسان لسان ولكنه لا يستطيع النطق ؟ . . أو له أذنان ولكنه لا يستطيع السمع . . إننا نرى هذه الأمثلة أمامنا كل يوم وهى قليلة جدا فى الحياة بالنسبة لملايين البشر الأصحاء الأقوياء . . ولكنها مع قلتها لها حكمة . . بأننا نتحرك وفقا لارادتنا ولكن بمشيئة الله . . ونتكلم عندما نريد الكلام ولكن بمشيئة الله . . ونبصر بأعيننا ولكن بمشيئة الله . . فاين هى القوة والقدرة الذاتية للانسان فتجعله يغتر . . ويرتكتب المعاصى . . ويقول أنا . . وأنا . . وهو فى الحقيقة عاجز . . واين هو علم الانسان من علم الله الذى سيكشفه لنا فى الآخرة . . الذى يجعل الشىء يأتينا بمجرد ان يخطر على عقولنا . . اين هذا العلم من ذلك الذى أشار إليه الله سبحانه وتعالى فى قصة سليمان . .

﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

(سورة النمل ٤٠)

مثل بنى آدم

أين علـم الانسـان ؟

أين علم الانسان من هذا كله . . والذى عنده علم من الكتاب قد قام بنقل عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس قبل أن يرتد طرف عين سليمان . . أى قبل ان يرتفع جفن العين ويعود إلى الانخفاض مرة أخرى . . أى فى مالا زمن . . هذا قدر من عنده علم من الكتاب . فماذا يكون قدر من عنده علم الكتاب كله . . فلا بد ان يعترف الانسان انه عاجز أمام قدرة الله سبحانه وتعالى . . فلا يغتر ولا ينسب الفعل لذاته أو لشخصه . . ولينسب الفضل كله لله . . واذا لم يفعل فإن الله سبحانه وتعالى يأتى بأدنى مخلوقاته ويسلطه على هذا الجبار ليريه انه عاجز تماما . . كما يأتى الله سبحانه وتعالى بجرثومة صغيرة لا تظهر ولا حتى تحت الميكرسكوبات العادية ولا الميكرسكوبات الالكترونية . . يأتى بهذا المخلوق البالغ الدقة . . والصغر ويسلطه على أكبر جبابرة الأرض الذين يعتقدون أنهم يقولون للشىء كن فيكون . . والذين يقولون من أشد منا قوة . . يسلط الله سبحانه وتعالى هذه الجرثومة عليهم فتدخل إلى اجسادهم فتجعلهم عاجزين . . ويجتمع أطباء الأرض كلهم بما لهم من علم . . ويأتون بأحدث اكتشافات الدنيا ، واحسن عقاقير بلا فائدة . . ويبحث العلماء عن السبب فلا يعرفونه . . وأحيانا امعانا من الله سبحانه وتعالى فى اظهار عجز خلقه يعرفون الداء ، ولكنهم لا يجدون له الدواء . . ولعل هذا يذكرنا بما حدث بالنسبة لدول كبرى . . رقد رؤساؤها فى المستشفى طويلا بلا حراك . . بينما كانوا يدعون انهم أقوى الناس فى الأرض . . ووقف حولهم علمهم وهو عاجز أن يفعل شيئا . . ووقفت الدنيا بكل

قدراتها وما وصلت اليه من علم واكتشافات عاجزة تماما أمام قدرة جرثومة صغيرة من خلق الله . . ثم بعد ذلك يتحدثون عن قدرة البشر . . وقوة البشر

هذا هو ما أراد الله سبحانه وتعالى أن يلفتنا اليه عندما أرسل الغراب ليرى قابيل كيف يوارى سوءة اخيه . . ويجعله يتعلم ممن هو أقل منه قدرة وأضعف منه . . ذلك الغراب الذى يستطيع قابيل ان يقتله بحجر أو بيده اذا أمسك به . . ولا يستطيع الغراب ان يحمى نفسه . . ذلك الغراب بعثه الله معلما لقابيل . . ومعلما للبشرية كلها بعدم الغرور . . لأن من هو ادنى منك قد يعطيه الله من العلم أكثر مما يعطيك . . وأنك وأنت القادر ظاهرا على أشياء كثيرة ربما تعجز أمام ادق مخلوقات الله سبحانه وتعالى وهى جرثومة صغيرة لا تعرف لها علاجا ولا تعرف لها دواء

بلم يكمل الله سبحانه وتعالى فيقول على لسان قابيل فقال ﴿ فأصبح من النادمين ﴾ . . أى ان قابيل حين تنبه إلى ضعفه وعجزه . . وعرف ان غرور قوته كان من الشيطان الذى يحاول ان يغرى الانسان على المعصية . . ثم بعد ذلك يهرب ساعة الجزاء مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

(سورة الحشر الآية ١٥)

فندم على الغرور الذى أدى به إلى هذه المعصية التى سيجازى عليها جزاء مهولا . . لأن قابيل هو الذى سن سنة القتل فى الدنيا . . مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) . . أى ان كل جريمة قتل وقعت أو ستقع فى الأرض منذ بداية الخلق وحتى يوم القيامة سيقع اثمها على من عمل بها وعلى قابيل الذى استن هذه السنة السيئة .

إلى هنا ونأتى إلى الحكمة التى أرادها الله سبحانه وتعالى من قصة ابنى آدم التى جاءت فى القرآن الكريم . . فيرينا أن الرضا بما قسمه الله وهو الخير . . ولو أن قابيل رضى بما قسمه الله وتزوج اخته التى جاءت فى الحمل مع أخيه هابيل . . لكان ذلك خيرا له . . ولوقاه شرورا كبيرة . . ولوقاه الخلود فى النار . . ولكن عدم الرضا بما قسمه الله والذى يضع الشر فى النفس البشرية ويقودها إلى طريق التهلكة . . والمؤمن هو الذى يعلم دائما أن الخير فيما اختاره الله يفعل ما فى وسعه ويأخذ بالاسباب . . فاذا جاءت النتيجة وفق هواه فهو خير . . واذا كانت النتيجة عكس هواه . . فهواه كان سيؤدى به إلى الشر . . والله وقاه بأن أعطاه الخير . . بدلا من أن ييسر له الشر . . والمؤمن عليه أن يرضى بحكم الله . . والله تقبل قربان هابيل . . وكان على قابيل ان يرضى بهذا الحكم ويمتثل له . . ولكنه بدلا من ذلك وضع نفسه فى مرتبة العليم . . ورفض تقبل حكم الله . . وان الله سبحانه وتعالى يتقبل من المتقين . . فاذا أردنا ان نتقرب إلى الله . . فلا بد ان تكون التقوى فى قلوبنا أولا . . وان نتخير الطيب نتقرب

به إلى الله ولا نختار الخبيث والاشياء التالفة والعفنة لأن الله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل الا طيبا . . والا يقودنا غرور النفس وتغرنا قدراتنا على ظلم

الناس . . ولنعلم ان قدرة الله وقوة الله مع الضعيف . . ولنحذر ان نبطش وان نظلم . . فان الله قادر أن يسلط علينا أبسط مخلوقاته لتسلبنا القدرة والقوة التى نظن انها تنبع من ذاتنا ومن انفسنا . . والا نسن سنة سيئة فى الحياة يراد بها الافساد فى الأرض لاننا سنتحمل وزرها ووزر من عمل بها

إلى هنا ونأتى إلى مثل آخر فى القرآن الكريم . . هو مثل الكلمة الطيبة . . والكلمة الخبيثة . . وهذا هو موضوع الفصل القادم .

الفصل الثالث

مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة



الله سبحانه وتعالى حينما خلق الانسان ونفخ فيه من روحه . . انطلق الانسان فى مهمته فى الحياة . . وهى عمارة الأرض ؛ وتطبيق منهج الله . . وكانت أحداث الحياة كلها بالنسبة للانسان هى الكلمة . . والفعل . . والنية . . وفى خارج إطار هذه الثلاثة لن تجد شيئا فى الدنيا . . فالانسان إما أن يتكلم . . أو يبيت النية على أن يفعل شيئا . . أو يفعل هذا الشيء فعلا . . ولقد أعطى الله سبحانه وتعالى للكلمة السيادة فى الدنيا . . فهى التى يتلقى عن طريقها الانسان منهج الخالق سبحانه وتعالى . . ومنهج الله هو كلمات الله إلى خلقه . . والكلمة هى أساس سيادة الانسان فى الأرض . . ذلك أنه لولا الكلمة ما استطاع انسان أن يدون فكرا . . وما استطاع الانسان نفسه أن يستفيد من علم غيره . . والانسان يرث الحضارات عن طريق الكلمة . . ويرث العلم عن طريق الكلمة . . ويرث التقدم عن طريق الكلمة . . وكل جيل يقرأ ما وصل إليه الجيل الذى قبله . . ثم يضيف إليه وينقله إلى الجيل الذى بعده . . إذن فالذى صنع الحضارة الانسانية وجعلها تتوارث جيلا بعد جيل . . وكل جيل يضيف إلى ما انتهى إليه الجيل الذى قبله . . كل هذا تم بالكلمة . . ولو أننا أعطينا من الله سبحانه وتعالى الكلمة . . ما أمكن لعلم أن يدون . . ولا لتقدم أن يعلم . . ولأصبحت الانسانية كلها لا اتصال بينها . . الجيل الماضى عاجز عن أن ينقل إلى الجيل الحاضر علمه . . والجيل الحاضر عاجز عن أن يدون ويبقى للجيل القادم حضارته . . وهكذا لو أن الانسانية جردت من الكلمات لخسرت حضارتها كلها وثقافتها كلها . .

الكلمة تعبير عن شيء ما . . لكن هذا التعبير لا يأتى من مطلق . . ولا من فراغ . . بل لا بد أن يوجد المعنى فى الذهن أولا . . ثم بعد ذلك تأتى الكلمة التى تعبر عنه . . أى أن الكلمات لا تصدر من فراغ . . ولكنها تصدر عن أشياء موجودة أو متصورة ذهنيا لتعبر عنها . . بحيث إذا قيلت الكلمة قفز المعنى إلى الذهن . . لذلك لا نجد مثلا أن هناك كلمات لأشياء غير موجودة . . وقبل أن يخترع التليفزيون لم يكن اسم التليفزيون موجودا . . ذلك أنه لم يكن يوجد فى العقل البشرى حتى يمكن أن يعبر عنه بكلمة . . وكذلك التليفون . . وكذلك أشعة الليزر . . وكذلك الصواريخ . . والأطباق الطائرة . . إلى آخر ما يسجله العلم . . ولكن الشيء وجد أولا ؛ ثم بعد ذلك وضع له الاسم الذى يجعل العقل عندما يذكر أمامه هذا الاسم تتضح أمامه متعلقات الاسم فيفهم عن ماذا تتحدث . . ولذلك فإن اللغات فى جميع أنحاء العالم يضاف إلى قواميسها كل عام كلمات جديدة . . والكتب تصدر فى كل أنحاء العالم لتعلم الناس هذه الكلمات الجديدة فى كل فرع من فروع الحياة . .

إذن ما هو غيب عن الانسان لا يستطيع أن يعبر عنه بكلمة . . أو لا يستطيع أن يفهمه . . ولذلك فإنك عندما تتحدث عن شيء لم يره إنسان تجد أن من تتحدث إليه لا يفهم ما تقول . . حينئذ تحاول أن تقرب إليه المعنى بشيء موجود يفهمه . . كأن تقول له : ان هذا الشيء مثل الكرة مثلا . . أو كالخط المستقيم . . أو شكله بيضاوى . . أو حجمه كالفيل تماما . . أو فى سرعة الطائرة . . وإذا أردت أن تعرف ذلك بالدقة

فاقرأ حديث الذين رأوا أشياء غير مألوفة فى الأرض ويحاولون أن يصفوها للناس . . نجد أنهم يشبهونها بأشياء مألوفة لدبنا حتى نستطيع أن نفهمها . . الذين رأوا الأطباق الطائرة مثلا وحاولوا أن يصفوا ما رأوا إلى الناس . . لم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك إلا بالتشبيه . . وقالوا إن الطبق مستطيل يبدو من بعيد كشكل السيجارة . . أو مستدير أو مسدس . . وانه يخرج منه مخلوقات تمشى على قدمين مثل الانسان . . ولكن أجسادها نحيلة كالعظام بلا لحم . . وعقولها كبيرة مثل حجم العقل الانسانى أربع أو خمس مرات . . وتخرج من أيديها وأرجلها مثلا أشعة تضىء مثل الكهرباء . . وفى مقدمة الطبق الطائر ماسورة على هيئة مدفع تخرج منه حمم مثل الصواعق إلى آخر ما قيل حول الأوصاف التى رواها أولئك الذين قالوا انهم رأوا الأطباق الطائرة . . وأرادوا أن يشرحوا للناس ما رأوه . . ولقد كان هذا الشرح مستحيلا دون أن يشبهوه بأشياء فعلا ، حتى يستطيع العقل أن يستوعبها .

لفظ الجلالة

وهنا لنا وقفة . . ذلك هو لفظ الجلالة « الله » سبحانه وتعالى . . ما ذكر اسم الله إلا وفهمه الجميع . . الجاهل والمتعلم . . الصغير والكبير . . والذى قرأ علوم الدنيا . . والذى لم يقرأ حرفا واحدا فى حياته . . الله غيب عنا . . لم يره أحد . . الله ليس كمثله شىء . . فلا يمكن تشبيهه ـ تبارك وتعالى وتنزه ـ بأى شىء فى عالمنا المادى . . إذن من أين جاء هذا الفهم ؟ . . جاء لأننا عرفنا الله سبحانه وتعالى

بالفطرة . . وأشهدنا على نفسه قبل أن نأتى إلى هذه الحياة . . قال جل جلاله :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾

(سورة الأعراف - الآيات ١٧٢ : ١٧٣)

. . ومصداقا لهذه الآيات الكريمة . . فإننا إذا ذكر لفظ الجلالة فهمناه جميعا دون حاجة إلى شرح . . ولذلك فإن الايمان ضرورة لغوية . . لأن اللفظ فى اللغة لا يطلق إلا على موجود . . ولا يفهم إلا إذا كان ما يطلق عليه موجودا . . ومعنى فهمنا للفظ الجلالة أن الله سبحانه وتعالى موجود . . وكلنا يعلم وجوده .

وحتى الذين يحاولون ستر وجود الله سبحانه وتعالى من الكافرين . . نقول لهم انه لا يمكن أن يتم هذا الستر إلا إذا كان الله سبحانه وتعالى موجودا . . فلا جدل بين الناس يقوم حول العدم . . أو حول شىء غير موجود . . لأنه ما دام الشىء غير موجود فالعقل البشرى لا يعرفه . . وعلى هذا لا تكون هناك مشكلة تقتضى الانكار . . ولكن إذا وجد الشىء وجد الجدل . . لأن الجدل لا بد أن يقوم على شىء يفهمه العقل . .

ووجود الشيء وفهم العقل له تم أولا . . ثم بعد ذلك بدأ حديث عنه . . والذين يجادلون فى الله ويحاولون ستر وجوده إنما هم فى الحقيقة يثبتون هذا الوجود لأنهم يتحدثون عنه . . ولا يمكن للعقل البشرى أن يتحدث إلا عن شيء موجود فعلا ويعرفه .

والكلمة التى هى تعبير عن شيء موجود فعلا . . لها تأثير كبير فى حياة البشر . . فكم من كلمة أشقت إنسانا . . وكم من كلمة أسعدت إنسانا . . وكم من كلمة أقامت أسرة سعيدة . . وكم من كلمة هدمت أسرة وشردتها . . وكم من كلمة قامت على أساسها عداوات وحروب . . وكم من كلمة بدلت الحروب بالسلام . . وكم من كلمة أدت إلى جرائم . . وكم من كلمة منعت الجرائم . . وكم من كلمة أقامت ثورات وأسقطت عروشا . . وكم من كلمة قضت على ثورات وأبقت عروشا .

الكلمــــة . . والبشـــــر

إذن فالكلمة فى حياة البشر لها أهمية كبرى . . وهى التى يبدأ بها العمل . . الكلمة تضع الاطار للعمل . . أو تضع النظرية كما يقولون أو الخطة . . ونحن لا نستطيع أن نقوم بعمل متقن إلا إذا حددناه بكلمات أولا . . حتى نعرف ماذا نفعل . . فلا يعقل أن تأتى بالناس وتطلقهم هكذا كل واحد منهم يفعل ما بدا له . . حينئذ تكون العملية هى فوضى مطلقة ؛ ويكون الناتج منه شيئا بلا نفع . . ولكن إذا أتيت بالذين يشتركون فى عمل محدد . . وعرفت كل واحد منهم ماذا سيفعل . . وشرحت له بالكلمات ما هو مطلوب منه . . سيكون عند كل واحد منهم

صورة ذهنية واضحة لما سيقوم به . . سيتم العمل على أكمل وجه . . لأن الصورة الذهنية لا بد أن تكون واضحة قبل أن يقوم بالفعل تماما . . كما أنه من الضرورى حين تفتح مدرسة مثلا أن تضع منهجا لهذه المدرسة قبل أن يأتى تلميذ واحد ليتلقى الدرس فيها .

الله سبحانه وتعالى ذكر الكلمة فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة . . وقال :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾

(سورة الأنعام ـ الآية ١١٥)

﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ﴾

(سورة التوبة ـ الآية ٤٠)

وكلمة الله نافذة . .

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾

(سورة يس ٨٢)

ولذلك فإن كلمات الله سبحانه وتعالى هى تمام فعله . . لماذا ؟ لأن الله عزيز . . فليس هناك أى قوة تستطيع أن تقف وتمنع تنفيذ كلمة من كلمات الله ؛ أو توجد ظروف تمنع أن تتم هذه الكلمة وتصبح فعلا ووجودا . . ولنشرح هذه النقطة قليلا . .

الانسان قد يقول . . ولكن الفعل لا يتم . . وهناك فرق بين القول والفعل فى حياة البشر . . لماذا ؟ . . لأننا نعيش عالم الأغيار . فالفعل عندنا محتاج إلى عناصر كثيرة لكى يتم . . محتاج أولا إلى وقت وإلى زمن . . ونحن لا نملك الزمن . . ولكن الزمن هو الذى يملكنا . . نحن لا نستطيع أن نعرف يقينا أننا سنعيش الساعة القادمة مثلا . . لذلك فإننا إذا تحدثنا عن فعل شىء قد لا نعيش وقد لا نوجد حتى نتمه . . وإذا امتد بنا العمر إلى ساعة حدوث الفعل . . فنحن نخضع لظروف كثيرة . . منها انه لا بد لنا من إمكانيات حتى يتم العمل . . وهذه الامكانيات لا نملكها ذاتيا . . بل هى معتمدة على آخرين لا نستطيع أن نتحكم فى ظروفهم . . فمثلا إذا أردت أن أبنى بيتا فقد أعد كل شىء وأملك الزمن . . ولكن الذين سيعملون فى البناء لا يحضرون فلا يُتم . . ونحن قدرات مختلفة بعضها فوق بعض . . ومن هنا فان قدرة قاهرة قد تأتى لتمنع وقوع الفعل . . كأن تأتى مثلا الحكومة وتستولى على الأرض التى قررت إقامة البناء عليها . . فتمنع إتمام الفعل . . ولكن الله سبحانه وتعالى ليس عنده زمن . . ولا توجد قوة أو قدرة فوق قوة الله وقدرته . . فهو قاهر فوق عباده . . وهو العزيز الذى لا يوجد إلا من هم دونه . . ولذلك إذا قال للشىء كن فيكون .

شــــجرة طيبــــة

والله سبحانه وتعالى تحدث عن الكلمة كثيرا فى القرآن الكريم . . ولكنه ضرب مثلا فقال فى كتابه الكريم :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾

(سورة ابراهيم ـ الآية ٢٤ و ٢٥)

الله سبحانه وتعالى يريد أن يحبب عباده المؤمنين فى كل كلمة طيبة وكل عمل طيب . . ذلك لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا . . والكلمة الطيبة هى التى تمسح كل سوء وتذكر كل حسن . . تتغاضى عن العيوب . . ولا تعرف إلا المحاسن . . الانسان فى هذه الحياة يشقى بأنه يضخم العيوب . . ويضخم المشكلات . . ولا ينظر إلى الزوايا الحسنة . . والله سبحانه وتعالى يريد أن يشيع بين المؤمنين الحديث الطيب . . وألا يتناول المؤمنون أعراض الناس أو سيئاتهم فيما يتحدثون . . وبما أن الله كما قلنا هو رب العالمين وعطاء الربوبية يكون عطاء متساويا للناس كل الناس ؛ بصرف النظر عن درجاتهم الايمانية . . وقد حرم الله سبحانه وتعالى الغيبة والنميمة . . وصورهما فى القرآن الكريم بصورة بشعة فقال تبارك وتعالى :

﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾

(سورة الحجرات ـ الآية ١٢)

وهكذا كانت الصورة من البشاعة بحيث تصبح كريهة لكل انسان . . فلا يتصور أن يأتى أحد لرجل ميت ؛ ويجلس أمام الناس ليأكل لحمه . . صورة بشعة كريهة للقول السيىء أو الكلمة الخبيثة . . ويوم القيامة يأتى الله بمن قال هذا القول السيىء ويأخذ من حسناته ويعطيها لمن أغتيب . . فإذا نفدت حسناته جاء بسيئات من تم اغتيابه لمن اغتابه بالقول السيىء . . لذلك فإن سيدى جعفر الصادق رضى الله عنه . . علم أن رجلا قد اغتابه ؛ فطلب من خادمه أن يأتيه بأحسن أنواع التمر الموجودة عنده . . ثم انتقى طيبها وأرسلها فى طبق إلى الرجل الذى اغتابه ؛ وكتب معها ورقة قال فيها : أعلمت أنك قد اغتبتنى بالأمس . وبما أنك قدمت إلى أحسن ما عندك وهو حسناتك . . فلم أجد بدا من أن أرد الهدية فأعطيك أحسن ما عندى وهو هذا التمر .

لمــــاذا . . الشـــــجرة

عندما نبدأ فى الحديث عن المثل الذى ضربه الله سبحانه وتعالى للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة . . فإننا نتوقف عند تشبيه الكلمة بشجرة . . لماذا شبه الله سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة . . والكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة . . لا بد أن الله يريد أن يلفتنا إلى عدة معان فى تشبيهه الكلمة بالشجرة . . أولا الشجرة تبدأ بذرة . . وتكبر . . وتكبر . . وتكبر . . وكذلك الكلمة خبيثة كانت أو طيبة . . تخرج من الفم كبذرة صغيرة . . ثم بعد ذلك يتناقلها الناس فتكبر وتكبر . . وتشيع فى القرية ؛ ثم تنتقل إلى القرى الأخرى وهكذا . . فكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن

يلفتنا فى أول المثل إلى خطورة الكلمة . . فيقول لا تحسبوا أن الكلمة مجرد حروف ينطق بها الفم . . ثم تنسى وتنتهى وتذهب . بل هى كالشجرة التى تبدأ ببذرة . . ثم تنتشر فروعها وتكبر وتترعرع . . لذلك فليراقب كل واحد منا كلماته ليعرف أن هذا الكلام له خطورته وله معناه . . ويريد الله أيضا أن يقول لنا : أن الكلمة محسوبة . . فلا نطلقها على عواهنها . . فإذا رميت البذرة فى الأرض قبل أن تنبت الشجرة فقد وضعت لها قرارا . . والكلمة محسوبة على البشر . . لذلك قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾

(سورة ق - الآية ١٧)

. . أى أن القول الذى يلفظه الانسان هو محسوب عليه . . فلذلك لا بد أن يتدبر الناس قبل أن يقولوا القول السيىء لأنه محسوب عليهم . . فإذا أضفنا إلى ذلك أن الشجرة تكون بذرة ثم تكبر وتترعرع وتعطى ثمارا . . ثم هذه الثمار تتحول مرة أخرى إلى بذرة . . وتؤخذ وتزرع فى أماكن مختلفة فتنتج شجرة من نفس النوع . . وهذا الشجر يأتى بدوره بثمر . . والثمر هو الآخر يصبح بذرة صالحة للزراعة . . وهكذا بلا نهاية . . حينئذ نعرف عظم ثواب الكلمة الطيبة ؛ أو السنة الطيبة ؛ وعقاب الكلمة الخبيثة ؛ أو السنة الخبيثة . . ونعرف أن كلتيهما تنتشر فى الأرض كالشجرة التى تنتج البذرة . . ويكون جزاء الذى استن سنة طيبة . . وقال كلمة طيبة أن له ثوابها وثواب من عمل بها إلى يوم

القيامة . . ويكون جزاء الكلمة الخبيثة أو السنة الخبيثة وزر صاحبها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة . . مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾

(العنكبوت ـ ١٣)

. . وقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها . ومن استن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) .

هكذا كان اختيار الله سبحانه وتعالى لتشبيهه الكلمة بالشجرة اختيارا بالغ الدقة . . لأنه يريد أن يقول أن البشرية ستتوحد . . والمسافات ستلغى أو تختفى . . ويصبح ما يحدث فى أقصى الأرض يعرف فى كل مكان فيها خلال دقائق . . فالشىء الطيب ينتقل بسرعة . . والشىء الخبيث ينتقل بسرعة . . ويظل فى المجتمع ويقلده الناس . . وإذا نظرنا إلى داءات البشرية الآن نجد أنها تأتى من سنن خبيثة ابتدعها بعض الناس الذين لا إيمان لهم . . ثم بعد ذلك أثمرت الشجرة ؛ وانتقلت البذرة إلى أنحاء الدنيا كلها . . أنظر مثلا إلى « الموضة » التى تتفنن فى تعرية جسد المرأة وإظهار ما حرمه الله . . تجد أن « الموضة » تبدأ فى بلد خبيث لا إيمان فيه . . ثم تنتقل بعد ذلك ثمرة هذه الشجرة الخبيثة إلى دول العالم كله . . فتجدها فى كل عاصمة وفى كل دولة . . فرغم أنها نشأت فى بلد واحد ؛ وانتقلت الثمرة بعد ذلك إلى باقى دول العالم . . وانظر إلى الجريمة التى

ترتكب فى بلد من البلاد التى لا تطبق شرع الله . . ثم تنتشر إلى باقى دول العالم . . إذن فلا يقتصر أثر الكلمة الطيبة أو السنة الطيبة على منبتها . . بل هى تثمر ثمارا تملأ الدنيا . . ولذلك كان التشبيه من الله جل جلاله بالشجرة .

وهـــذا هـــو الفـــرق

إلا أن الله سبحانه وتعالى فرق بين الكلمة الخبيثة والكلمة الطيبة . . صحيح أن كلا منهما يشبه الشجرة التى تنتج الثمار وتنشر البذور . . ولكن الكلمة الطيبة قال الله سبحانه وتعالى عنها . . كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . . أى أن الكلمة الطيبة والسنة الطيبة باقية راسخة فى الأرض ؛ لا تخرج منها أبدا . . وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الخير فىّ وفى أمتى إلى يوم القيامة) . .

إذن السنة الطيبة والكلمة الطيبة متى بذرت فى الأرض تبقى ويعمل بها الناس قلوا أو كثروا فانها لا تنتهى أبداً . . بل الخير موجود دائما . . ثم بعد ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾

(سـورة ابراهيم ٢٤)

وهنا يريد الله أن يلفتنا إلى أن جزاء الكلمة الطيبة والسنة الطيبة هو عنده سبحانه وتعالى فيقول :

﴿ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾

(سورة ابراهيم ٢٤)

أى لا تنتظر الجزاء من الأرض . . أو لا تنتظر الجزاء كل الجزاء من الأرض . . فإذا قلت الكلمة الطيبة فانتظر الجزاء من الله . . وابتغ الجزاء من الله وحده . . فإذا نالك خير من الأرض . . كان خيرا . . وإذا لم يحدث فأنت تعلم يقينا أن الجزاء من عند الله سبحانه وتعالى لأن الله هو القائل :

﴿ هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ﴾

(سورة الرحمن - ٦٠)

أما إذا كنت تفعل الخير ابتغاء لرضاء غير الله من أصحاب النفوذ وغيرهم . . فإن الله سبحانه وتعالى يسلط عليك من ابتغيت رضاه على حساب الحق . . فيكون هو أول من يؤذيك . . وأول من يهينك . . وتلقى منه السوء من حيث لا تتوقع ولا تحتسب . . إذن قول الله تعالى :

﴿ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾

(سورة ابراهيم - ٢٤)

انما يريد أن يلفتنا به إلى أن لا ننتظر الجزاء عند أحد . . بل ننتظر منه سبحانه وتعالى وقد نلقى خيرا فى الدنيا من كلمة الخير التى قلناها . . ولكن الجزاء الحقيقى والجزاء العظيم هو عند الله سبحانه وتعالى فى الآخرة .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ ﴾

(سورة ابراهيم - ٢٥)

. . وهنا تظهر عظمة الدقة القرآنية فى قوله تعالى :

﴿ كُلَّ حِينِۭ ﴾

(سورة ابراهيم - ٢٥)

. . فهذا القول كل حين ينطبق على كل كلمة طيبة . . يمكن أن يقال تؤتى أكلها كل حين بمعنى أنها كلما انتقلت من مكان إلى مكان . وزرعت فى المكان الجديد أو انتشرت فيه جاءت بمحصول جديد لمن ألقى البذرة الأولى فأثابه الله عليها بأجر من عمل بها . . أى أن الكلمة الطيبة أو السنة الحسنة فى كل مكان انتقلت إليه كان لها ثواب أو ثمر يؤتى به لصاحبها الذى سن هذه السنة الحسنة والكلمة الطيبة فى كل فترة من الفترات . . رغم أنه لم يبذل جهدا إلا فى البذرة الأولى التى وضعها فى الأرض . . هذه واحدة . .

وإذا كانت الكلمة الطيبة عن شخص ما . . فإن هذا الشخص كلما تذكر أنك قلت عنه كلمة طيبة أراد أن يجزيك عليها بالطيب . . فكأنه فى كل فترة من الفترات . . وكلما جاءت مناسبة . . كانت هذه الكلمة ثمرة . . ولعلنا جميعا حين نعرف أن إنسانا تحدث عنا بطيب القول يستثير

فينا عوامل الخير فنحاول أن نرد له هذا الكلام الطيب بما هو أطيب منه . ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾

(سورة ابراهيم - ٢٥)

أى أن ذلك يحدث بمشيئة الله سبحانه وتعالى الذى يبارك فى العمل الطيب . . ليس بقدرات البشر ولكن بقدراته هو . . فنجد صاحب الكلمة الطيبة أو السنة الطيبة يأتيه الطيب دون أن يعرف من أين أتاه ولا كيف أتاه . . أى أن الله سبحانه وتعالى يسخر له من يسعى فى العمل الطيب ويعطيه ثماره .

ويكمل الله سبحانه وتعالى بأن يبين لنا مثل الكلمة الخبيثة . . فيقول :

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾

(سورة ابراهيم - ٢٦)

أى أن الله يريد أن يقول لنا أن الكلمة الخبيثة شجرة أيضا . . أى أن لها بذوراً وتنتشر من مكان إلى آخر بثمارها التى تتحول إلى بذرة تنقل لتزرع فى أماكن أخرى . . فكما تنتشر الكلمة أو السنة الطيبة . . كذلك فان الكلمة الخبيثة أو السنة الخبيثة لها انتشار أيضا . . ولكن هناك فرقا . . فيقول :

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾

(سورة ابراهيم - ٢٦)

أى أن الكلمة الخبيثة عطاؤها خبيث مثلها . . وهى تأتى بثمر لا يعطى نفعا بل يعطى ضررا للبشرية كلها . . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

(سورة الأعراف - الآية ٥٨)

بذرة . . من الانسان

إذن كل سيىء فى الأرض هو بذرة بذرها انسان سيىء لا إيمان له . . ثم بعد ذلك انتقلت من مكان إلى مكان لتفسد حياة الانسان على الأرض وتضع فيها ما يشقيه . . والانسان أعطاه الله المنهج . . ولكنه أراد بعقله أن يفسد الكون . . ثم بعد ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾

(سورة ابراهيم - ٢٦)

ومعنى أنها اجتثت من فوق الأرض انه لا قرار لها . . وهكذا العمل السيىء . . لا تجد له عطاء متجددا . . ومن السهل جدا أن يقتلع من الأرض إذا ووجه بالحق أو بالعمل الطيب . . فهو ليس متين القرار بحيث يثبت أمام الحق . . ولكنه صاحب جذور ضعيفة ، ولذلك إذا وقعت معركة بين الحق والباطل . . فإن الحق هو الذى ينتصر والباطل يجرى

مهزوما . . وإذا أردت أن تعرف دقة هذا المثل . . فانظر إلى حكم رجل ظالم أو ملك ظالم . . ذلك الذى يأمر بالسوء ويشيع الفحشاء ويبغى فى الأرض . . بمجرد أن ينتهى حكم هذا الرجل الذى استخدمت فيه كلمات السوء وأفعال السوء ؛ ويأتى حكم جديد إلا ويقتلع كل شىء قام به هذا الحاكم الظالم من جذوره ؛ ولا يبقى منه شىء . . بل على العكس تظهر الخبايا والخبائث التى كانت مخفية . . ويظهر الناس كلهم ليسبوا الحاكم الذى رحل ويقتلعوا أنصاره وكل السنن التى اتبعها . . ولا يشترط فى ذلك أن يكون الحاكم الذى جاء طيبا . . بل قد يكون الحاكم الذى جاء أخبث من الحاكم الذى رحل . . ولكن مع ذلك كل منهما يقتلع جذور الآخر . . ولا يكون حكم الظالم له جذور أبدا . .

فإذا أخذنا حكم ستالين مثلا بما كان فيه من ظلم واعتداء على الناس إلى آخر ما نعرفه . . نجد أن الحكم الذى جاء بعده اقتلع كل الجذور التى وضعها ستالين . . فأطاح برجاله ووضعهم فى السجون وأعدمهم . . وأطاح بالمظالم التى وضعها ستالين ؛ بل أطاح بسمعة ستالين نفسه ولطخها بالطين وحطم تماثيله . . وجاء النظام الجديد بظلم آخر أى أنه لم يأت بالعدل . . ولكنه اجتث جذور ظلم ستالين . . ووضع هو جذورا جديدة . . ثم جاء الذى بعده فأطاح بكل هذه الجذور التى اعتقد الناس أنها قد رسخت فى الأرض وأصبح لها قرار . . وأطاح بالرجال الذين اعتقدوا أن الدنيا قد دانت لهم . . وأنهم خالدون فى مناصبهم . . أطاح بهم جميعا . واقرأ تاريخ الحكم الديكتاتورى فى العالم كله . . حكم عبادة

الفرد . . تجد كل واحد يأتى يقتلع جذور الذى سبقه ويلطخه بالطين . . ومع ذلك فإن الناس لا تعتبر ولا تتأمل فى كلمات الله سبحانه وتعالى فى أن الخبيث ليس له جذور فى الأرض . . وأنه فى كل فترة قصيرة تقتلع جذوره وتلقى أشجاره وهم الرجال الذين قاموا برعاية هذه الثمرات السيئة والحرص عليها . . تلقى هذه الأشجار كلها لتموت . . ثم يأتى من بعده ببذور إما طيبة فتبقى . . وإما خبيثة فتقتلع بعد فترة . . ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾

(سورة المائدة ـ الآية ١٠٠)

. . أى أن الخبيث قد يكون كثيرا بمعنى أنه يأتى حكم سيىء أو حاكم سيىء ثم وراءه حاكم سيىء . ولكن لا جذور لهذا ولا جذور لذاك . . فمع كثرة الخبيث فهو يقتلع من الأرض دائما . تماما كما قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

(سورة ابراهيم ـ ٢٦)

ولعل فى هذا ردا على بعض الناس الذين يتعجبون من كثرة الخبيث فى الحياة الدنيا ؛ ويحسبون أنه قد طغى على العمل الطيب والفعل الطيب . نقول لهم ان هذا الخبيث الذى ترونه لا قرار له فى الأرض وهو يقتلع كل

فترة قصيرة فأما الزبد فيذهب جفاء ؛ وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

القــول الثـابت

نأتى بعد ذلك إلى ختام المثل الذى ضربه الله سبحانه وتعالى فى قوله تعالى :

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾

(سورة ابراهيم - ٢٧)

وهنا يخبرنا الله سبحانه وتعالى عن الدور الايمانى الذى يتم فيقول إن كثرة الخبيث قد تفتن المؤمنين وربما اهتز إيمانهم . . حينئذ تكون المشيئة محيطة بكل مؤمن لتثبته أمام هذا الخبيث الذى يبدو كثيرا فى الأرض . . فيعطيهم الله القول الثابت . . أى أنه يريهم من حلاوة الايمان وصدقه ما يجعل قلوبهم تثبت على الايمان ولا تهتز . . والله سبحانه وتعالى هو المعين للمؤمنين يخرجهم من الظلمات إلى النور . . مصداقا لقوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾

(سورة البقرة - الآية ٢٥٧)

هنا تمتد مشيئة الله لتقول للمؤمن لا تخش شيئا مما يحيط بك . . فهذا كله لن يستطيع أن يصل إليك لأن الله معك . . وما دام الله معك فأنت

القوى والدنيا كلها لا حول لها ولا قوة . . فاطمئن إلى أن الله يرعاك . .
ثم تمضى الآية الكريمة :

﴿ وفى الآخـــرة ﴾

أى أن التثبيت من الله سبحانه وتعالى لا يكون فى الحياة الدنيا وحدها . . بل أيضا يوم الهول الأكبر فى الآخرة . . فيقفون أمام الله سبحانه وتعالى يقولون الحق . . ويلهمهم الله الصواب وينجيهم من العذاب .

ثم تمضى الآية الكريمة :

﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾

(سورة ابراهيم - ٢٧)

. . أى أن الله سبحانه وتعالى لا يثبت إلا المؤمنين . . أما الظالمون فإنه يتركهم ليزين لهم الشيطان الخبيث فى الأرض فيندفعوا مفتونين بكثرة الخبيث غير متنبهين إلى الحقيقة ؛ وإلى أن الطيب وحده هو الذى يمكث فى الأرض . . ثم ينبهنا الله سبحانه وتعالى إلى أن ذلك لا يحدث خارج المشيئة . . بل ان الله سبحانه وتعالى شاء أن يخلق الانسان مختارا صالحا لأن يفعل الخير والشر . . وان منهج الله ومشيئته اقتضت أن يأتى الانسان إلى الايمان مختارا . . ولذلك فان اتجاه الانسان إلى الظلم أو الضلال أو السيىء إنما هو خاضع للمشيئة الالهية التى أعطت الانسان حرية الاختيار . . وبالتالى ليكون الحساب عدلا فى الآخرة .

إلى هنا ونأتى إلى ختام المثل الذى ضربه الله سبحانه وتعالى عن الكلمة الخبيثة والكلمة الطيبة . . وكيف أن كلا منهما مثل الشجرة التى تنبت الثمار وتنتشر منها البذور فى الدنيا كلها . . ولكن الكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . . يأتينا منها الخير حتى يوم القيامة . . والكلمة الخبيثة ليس لها قرار فى الأرض ؛ فهى تقتلع بعد فترة قصيرة . . وذلك بأن يسلط الله رجلا صالحا على رجل ظالم . . أو يسلط ظالما على ظالم . . وان الله سبحانه وتعالى يثبت المؤمن ويعينه ويترك الظالمين للشيطان ليضلهم .

على أن الله سبحانه وتعالى ضرب لنا مثلا آخر عن كلماته . . هو عيسى ابن مريم عليه ارسلام . . فقال تعالى :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ﴾

(سورة آل عمران الآية ٥٩)

وهذا هو موضوع الفصل القادم . .

الفصل الرابع

مثل عيسى كمثل آدم



الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الحياة . . وخلق الموت وخلق الكون . . وقضية الخلق لايستطيع أحد أن يدعيها .

فهى محسومة لله تباركَ وتعالى . . لأنه هو الذى قال إنه خلق . . ولم يجرؤ أحد أن يدعى الخلق . ومن هنا فإن القضية ليست موضع مناقشة . . على أنه اذا كان الخلق ايجاداً من عدم . . بعض الناس يقول إننى صنعت كوبا أو ابريقا أو آلة فكأننى أوجدت شيئا من عدم . . أى أننى خلقته . . نقول بادىء ذى بدء ان الشىءالذى يوجد من عدم لغويا قد يكون خلقا . . ولكن الانسان الذى يصنع الكوب . . ويصنع الصاروخ ويصنع « ماكوك » الفضاء عاجز عن أن يصنع خلية حية . . فأى صناعة تستطيع أن تنتج لك ما تشاء .

ولكنها لاتستطيع ان تهب لهذا الشىء الحياة . . فلا يمكن مثلا أن يتكاثر بالتوالد . . ولا أن ينمو نموا ذاتيا . . ولا أن تكون له خاصية العقل والفكر التى تمكنه من الحياة . . حتى ما يطلقون عليه الانسان الصناعى الذى يستخدم الآن فى الصناعات بالدول المتقدمة . . فهو لايستطيع التمييز ولا التكاثر ولا الرقى . . ولا أى شىء من خصائص الانسان الحقيقى . . ولكنه عبارة عن آلة معقدة لديها أوامر محددة تقوم بها بحركات ميكانيكية محسوبة ولا شىء غير ذلك . . ولذلك لا يستطيع العلم أن يقول إنه خلق انسانا صناعيا . . ذلك ان ما صنعه العلم ليس فيه شىء من صفات الانسان التى تميزه عن غيره . . فلا هو يفهم ، ولاهو يفعل ، ولاهو يستطيع ان يتصرف اذا حصل خلل . . ولايتناسل . . دائما يبقى

على حاله منذ ساعة ايجاده حتى يبلى ويتحطم . . يقوم بنفس الحركات . . بنفس الترتيب بنفس الطريقة . . ويكرر نفسه كل عدة ثوان أو عدة دقائق . . ولا يغير حركته الا بتوجيه جديد يدخل فيه الانسان ، أو ما اخترعه الانسان . . وتكون النتيجة آيات صماء بلا حياة .

ولكن بعض الناس يتساءل عن معنى الآية الكريمة :

﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

(سورة المؤمنون الآية ١٤)

. . . ومادام الله سبحانه وتعالى قد قال أحسن الخالقين . . فلابد أن هناك من هم أدنى درجة فى الخلق والايجاد من عدم . . نقول : ان هؤلاء الأدنى درجة هم الذين يصنعون الاشياء الصماء التى لاحياة فيها ولاحركة . . الا أن تكون حركة ميكانيكية لاتتغير ولاتتبدل والا أن تكون حياة صماء هى الجماد وبعد ذلك لا شىء ـ أما الحياة نفسها بالمعنى الذى تعرفه فى كل مخلوقات الله التى يوجد منها التكاثر وتنتقل من جيل إلى جيل ، فذلك هو خلق الله . .

ولقد تحدى الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم فى خلق الحياة . . فقال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ

مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾

(سورة الحج ٧٣ - ٧٤)

. . وهذا التحدى الذى طلب منا الله سبحانه وتعالى أن نستمع له أو ننتبه اليه . . هو تحد للبشرية كلها منذ خلق آدم وحتى قيام الساعة . . فلو اجتمع علماء الانس والجن على ان يخلقوا ذبابة واحدة على ضعفها وتفاهتها . . لما استطاعوا أن يخلقوا حتى جناح ذبابة فيه الحياة التى يضعها الله فى بلايين المخلوقات فى كونه كل ثانية . . ولقد استطاع الانسان أن يصل الى القمر . . وربما استطاع ان يصل الى المريخ . . بما كشفه الله سبحانه وتعالى من علم له . . ربما اطلعه الله على القوانين التى يسير عليها الكون . . وجعله يستفيد منها فى أن يحقق تقدما وسيطرة . . هذا كله ممكن . . ولكن الانسان لن يستطيع أن يخلق خلية حية ، وهذا هو التحدى .

لمـــاذا المثـــل ؟

على أن الله سبحانه وتعالى لم يضرب مثلا بنبى من أنبيائه كما ضرب مثلا بعيسى عليه السلام فقال .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾

(سورة آل عمران - الآية ٥٩)

. . وذلك بسبب الخلاف الذى نشأ حول معجزة ميلاد عيسى عليه السلام وكيف تم الاعجاز ؟ . . ولقد كان هذا الاعجاز موضع جدل حتى يومنا هذا . . بالرغم مما حدثنا الله تعالى به .

على أننا لابد أن نبدأ القصة من أولها . . قصة الخلق لنعرف أين المعجزة . . وكيف حدثت . . فذلك هو أهم ما يمكن تقديمه من تفسير . إن الخلق بدأ بآدم عليه السلام . . وكان خلقا أو ايجادا من عدم . . أى لم يكن آدم موجودا ، ووجد بكلمة كن من الله سبحانه وتعالى . . لم يكن أحد من البشر قد خلق بعد . . ولذلك لم يكن لآدم أب ولا أم . . أى أنه خلق خلقا مباشرا من الله سبحانه وتعالى . . . أوجده بدون ذكر أو انثى . . وكانت هذه هى أولى معجزات الخلق بالنسبة للانسان . . أن يتم خلق بشر بدون ذكر أو انثى . . وكان لابد لكى تمضى الحياة وتتكاثر أن يكون خلق كل شىء فيها من ذكر وأنثى ، حتى يمكن أن يتم الوجود والتكاثر . . فكان خلق حواء من ضلع من آدم . . أو من جزء منه . . وتمت المعجزة الثانية من الخلق وهى ايجاد خلق من ذكر دون أنثى . . وهكذا وجد الذكر والأنثى فى الحياة بعد أن تم إعجازان أو معجزتان من معجزات الله فى الخلق . . الأولى . . آدم بدون ذكر أو أنثى . . والثانية خلق من ذكر دون أنثى . . ثم اختار الله سبحانه وتعالى ان تتم طريقة الخلق أو التكاثر من ذكر وأنثى فى كل مخلوقات الله سبحانه وتعالى التى فيها حياة نعرفها . . فالحيوان يتم تكاثره من ذكر وأنثى . . والنبات يتم تكاثره بذكر وأنثى . . سواء كان التذكير والتأنيث فى نفس الثمرة أو الزهرة . . أو كانت تحمله

الرياح من ثمرة الى أخرى أو من زهرة الى اخرى . . وفى كل يوم يكتشف العلم اضافة جديدة تؤكد أن كل شىء فيه حياة نعرفها فى الكون يتكاثر ويتوالد من ذكر وأنثى . .

معجـزة الخـلـق

بقيت بعد ذلك فى معجزة الخلق . . أن يتم الخلق من أنثى بلا ذكر . . وبهذا يكون تمام اعجاز الخلق فيكون الخلق قد تم بدون ذكر أو انثى وبذكر دون أنثى . . وأنثى دون ذكر . . وذكر وأنثى . . وهذا تمام معجزات الخلق الأربع . . ولو أنه لم يتم ميلاد عيسى من أنثى بلا ذكر لكانت معجزات الخلق غير تامة . . ولبقيت منها هذه المعجزة الأخيرة . . على أنه كما قلنا فان الخلق هو من صفات الله سبحانه وتعالى التى لايشاركه فيها أحد . . ومن هنا ورغم أن الخلق يتم من ذكر وأنثى فانه يخضع لطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى فى كونه . . ذلك أنه لايجتمع رجل وامرأة على اطلاقهما ليتم خلق جديد . . بل انه قد يجتمع الرجل والمرأة ويتزوجان سنوات طويلة متخذين بذلك أسباب الخلق التى وضعها الله سبحانه وتعالى فى كونه . . ومع ذلك لايرزقان بطفل . . وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن

يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

(سورة الشورى ـ الآية ٤٩ ـ ٥٠)

. . أى أن الله سبحانه وتعالى قد شاء أن يبقى الخلق من طلاقة قدرته . . فهو رغم أنه جل جلاله جعل أسباب الخلق الذكر والأنثى . . الا أن المشيئة فى يده . . فلم يجعل زواج الرجل والمرأة سببا للانجاب على اطلاقه . . ولم يجعل نوع المولود خاضعا إلا لمشيئته . . فمشيئة الله هى التى تهب الذكور . . وهى التى تهب الاناث ، وهى التى تجعل انسانا قد يتزوج عشرات السنين ولاينجب . . ثم بعد ذلك ينجب فجأة . . فلا يستطيع انسان أن يقول انى سأنجب طفلا ذكراً ولن أنجب الا ذكورا . . ولايستطيع انسان أن يقول انى لن أنجب الا بنات . . ولايستطيع انسان أن يقول متى تزوجت فلابد أن انجب .

أننا هنا لابد لنا من وقفة قصيرة . . ذلك أن الله سبحانه قد ذكر الأنبياء فى القرآن الكريم دون تعريف . . فقال موسى . وإبراهيم . وإسماعيل . وإسحق . ويعقوب والياس دون ان ينسبهم الى آبائهم أو أزمانهم بالدقة . . حتى انه حينما ذكر الله سبحانه وتعالى قصة موسى مع فرعون . . لم يعرف لنا من هو فرعون الذى ارسل موسى فى عهده . . وعندما ذكر لنا قصة يوسف مع عزيز مصر . . لم يذكر لنا من هو العزيز الذى ارسل يوسف فى عهده . . ذلك أن قصص الأنبياء بما جاءوا يعالجونه من داءات البشرية وما أصابها من فساد ليست قصصا تتعلق بذاتية

الأشخاص أو بالوقت الذى حدثت فيه . . ولكنها داءات فى الحياة تتكرر فى كل عصر حتى يوم القيامة . . ففرعون مثلا . . هو كل حاكم يريد أن يعبد فى الأرض . . موسى هو كل انسان مصلح مؤمن يقف يواجه هذا الحاكم وظلمه . . وشعيب هو كل انسان ينصح قومه بألا يأكلوا حقوق الناس وأن يعطوا كل ذى حق حقه بالكيل والميزان . . فإذا وجدت أمة تؤكل فيها حقوق الناس ويبتخس فيها اشياؤهم ثم وجد رجل مصلح يدعو الى الحق والى اعطاء الناس حقوقهم كاملة ويحارب هذا الداء الوبيل فى أكل حقوق الناس . . فاننا نتذكر فى تلك اللحظة قصة شعيب عليه السلام وقومه . . ونعرف ما يدعونا الله سبحانه وتعالى اليه فى هذه الحالة . . وهكذا فى كل الداءات التى أرسل الانبياء لعلاجها . . هنا ليست خصوصية الداء بالذات . . ولاقصة حدثت ولكن تتكرر . . بل الداءات تتكرر والله يريدنا أن نعرف الدواء . . ويريد أن يعرف المؤمن المنهج الإيمانى تجاه هذه الداءات . . حتى يقاوم الظلم والعدوان . . ليس فى صورة واحدة . . ولكن فى كل الصور التى جاء الأنبياء لمعالجتها ، وهذا كمال الدين وجماله .

العبرة هنا . . لاتتكرر

اذن فالعبرة من قصص الأنبياء متكررة . . والداءات التى جاء الانبياء لعلاجها فى الكون تتكرر . . واذا نظرنا الى صورة الكون اليوم على اختلافها واتساعها . . وجدنا فيها فرعون وآله . . وقوم لوط . . ومدين وثمود . . وعبدة الاصنام والاوثان . . وكل الداءات التى وردت وعالجها

الله سبحانه وتعالى فى القرآن بقصص الأنبياء التى قصها علينا . . كلها موجودة وكلها متكررة الا معجزة ميلاد عيسى عليه السلام . . فهى لن تتكرر أبداً . . ولذلك عندما ذكر الله سبحانه وتعالى قصة مريم فى القرآن الكريم لم يقل مريم فقط . . ولكنه قال مريم ابنة عمران بل انه حددها بالاسم بين نساء العالمين . . فقال ان ذلك لن يحدث الا لامرأة واحدة هى مريم ابنة عمران . . ولن تنجب امرأة فى العالم دون أن يمسها بشر . . الا مريم ابنة عمران . . وهنا أراد الله سبحانه وتعالى ان يلفتنا الى خصوصية هذه المعجزة .

. . وأنها لن تتكرر لأى امرأة اخرى . . فذكرها بالاسم منسوبة الى ابيها . . وعندما ذكر الله سبحانه وتعالى جميع الأنبياء لم ينسبهم الى آبائهم . . ولكنه عندما ذكر عيسى عليه السلام قال « عيسى ابن مريم » . . نسبة الى امه مريم عليها السلام لأنه ولد دون أب . . ومعنى ذلك أن المعجزة هنا لن تتكرر . . ولن يولد طفل من أنثى بدون ذكر الا عيسى عليه السلام . . ولذلك نسبه الله الى أمه حتى نتنبه لهذا الاختلاف فى اسماء الأنبياء فى القرآن الكريم الذين ذكرت أسماؤهم الاولى دون نسبهم . . ولأن عيسى عليه السلام ذكر منسوبا الى أمه ولقد قيل فى عدم نسبة الانبياء وورثتهم هم ومن اتبعوهم من المؤمنين الى اهلهم لأن أهل عشيرتهم هم المؤمنون مصداقا لقول الله تعالى عندما خاطبه نوح فى ابنه :

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ

مثل عيسى كمثل آدم .

﴿ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ (45) قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (46) ﴾

(سورة هود ـ الآية ٤٥ و٤٦)

. . ولذلك لم ينسبهم الله الى أهلهم الذين قد يكون فيهم المؤمن وغير المؤمن . . كما حدث بالنسبة لأبي ابراهيم . . وامرأة لوط . . وابن نوح .

نعود الى قصة مريم عليها السلام لنرى كيف أعد الله سبحانه وتعالى المعجزة حتى تتم . . فتلك المعجزة تكون قاسية على النفس جدا بالنسبة لأي امرأة لاتستطيع أن تواجه بها المجتمع . . فكيف بامرأة صالحة ذكرها الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم . لقد بدأ التمهيد للاعداد للمعجزة لتظهر على الأرض للناس قبل ان تولد مريم عليها السلام . .

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾

(سورة آل عمران ٣٥)

أم مريم

﴿ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (35) ﴾

(سورة آل عمران ٣٥)

. . أى أن أم مريم نذرت ما فى بطنها ساعة علمها بالحمل . . ولم تكن تعرف هل ستلد ذكرا أو أنثى . . نذرته لله سبحانه وتعالى . .

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾

(سورة آل عمران ٣٦)

كانت أم مريم تعتقد ان الله سيرزقها بولد . . وتعتقد أن الولد اقدر على خدمة دين الله فى الأرض من الانثى . . ولكن الله شاء لكى يتم سبحانه وتعالى بقدراته معجزات الخلق بخلق من انثى دون ذكر . . أراد الله سبحانه وتعالى لكى يتم هذا ان يكون المولود أنثى . . وهنا اتجهت أم مريم عليها السلام وقالت « إنى وضعتها انثى » . . ثم تضرعت إليه سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾

(سورة آل عمران ٣٦)

طلاقة القدرة

هنا يبرز سؤال مهم . . كيف عرفت أم مريم أن مريم سيكون لها ذرية . . والجواب على ذلك سهل . . فكل طفلة تولد يتوقع لها اهلها ان

مثل عيسى كمثل آدم .

تتزوج وأن يكون لها ذرية . . فلذلك فقد كان دعاء أم مريم دعاء بشريا عاديا تدعوه كل أم لطفلتها . . ولم يدر فى خلدها أن هذه الطفلة الصغيرة التى أسمتها مريم سيجرى الله عليها بقدراته اتمام معجزات الخلق من أنثى بلاذكر .

وذهبت مريم تتعلم الدين ، وتتعبد ، وكفلها زكريا وهو نبى الله ومن الصالحين . . وهو شقيق والدتها . . كفلها لتتعبد لله سبحانه وتعالى فى محراب بعيدا عن الناس . .

ولكن زكريا لاحظ شيئا غريبا ، وكانت بداية اشارة من الله بمعجزة . . حتى تستطيع مريم أن تتقبلها . . فكان زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا . . كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى موسم الصيف . . وفاكهة الصيف فى موسم الشتاء . . وكان زكريا يتعجب من ذلك . . ويسأل لماذا يحدث هذا . . فلا يجد جوابا . . ولم يطق زكريا صبرا فوجه سؤالا مباشرا الى مريم : « يا مريم أنى لك هذا ؟ » . . أى يامريم من اين تأتيك هذه الفاكهة فى غير أوانها . . وكان جواب مريم بسيطا صريحا كالحدث نفسه . .

﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾
(سورة آل عمران ٣٧)

ولابد هنا أن نتنبه إلى أن الله سبحانه وتعالى قد بدأ يجعل مريم تحس بطلاقة القدرة فى لقاء مباشر مع هذه الطلاقة التى تعدها بعد ذلك بأن تحس

تماما وتعرف ان الله يفعل ما يشاء . . ولايحدث عن ايمان غيبى فقط . . ولكن عن حقيقة واقعة . . هى أن تأتيها الفاكهة فى غير موسمها . . فتألف هذه الطلاقة واقعا . . حتى اذا وضعت دون ان يمسها رجل لم تكن الصدمة عنيفة عليها . . بل أحست باختيار الله لها ليتم عليها معجزات خلق الانسان . .

وتوقف زكريا عند كلام مريم . . وأراد أن يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يعطيه بطلاقة قدرته الولد الذى يرث زكريا . . وزكريا . . فى ذلك الوقت شيخ كبير ، وامرأته عاقر . . ولقد أخذ بالاسباب أولا فتزوج . . ولكن الله لم يرزقه الولد بالأسباب فاراد أن يطلب من الله سبحانه وتعالى بطلاقة قدرته . . بعد أن انعدمت الأسباب . . وبعد أن أصبح هو شيخا كبيرا وامرأته عجوزا . . ومنطق الدنيا ومنطق الأحداث يقول انهما لن ينجبا . . أراد أن يعطيه الله بطلاقة القدرة الذى لم يحصل عليها بالأسباب .

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

(سورة آل عمران ٣٨ و٣٩)

مثل عيسى كمثل آدم .

. . ونفهم من سياق الايات ان الدعاء الى الله تم وزكريا يصلى لله مبتهلا .

يفعـل مـا يشـاء

حين حدث هذا وتجلت طلاقة قدرة الله لزكريا ليعرف ان مريم صادقة تماما فيما قالت . . وأن ما يأتيها من رزق فى غير أوانه هو من طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى . . أخذته الأسباب مرة أخرى . . ورفع يديه الى السماء قائلا .

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ ﴾

(سورة آل عمران ـ الآية ٤٠)

. . زكريا رغم أنه نبى ومن الصالحين حين أتته طلاقة قدرة الله لتهبه الغلام بعد أن انعدمت الأسباب ، سواء من ناحيته أو من ناحية زوجته . . ليتم له ذلك وقف مبهوتا . . وقد كان اللقاء مع طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى لقاء قويا . . زلزل نفسه . . فقال يارب أنا شيخ كبير وامرأتى عاقر كيف ستهبنا الولد وقد فقدنا كل اسباب القدرة على ذلك . . وهنا قال الله سبحانه وتعالى لاتسأل يازكريا كيف . . فهذه الكلمة ليس لها مكان عند الله . . اذ إن الله هو خالق كل شىء . . ومن هنا فانه يقول للشىء : كن فيكون . . ليست هناك كيفية . . فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شىء ولايحتاج لتبرير ما يحدث . . ولايحتاج لمعونة فيما يريد أن يخلق . . ومن هنا

مثل عيسى كمثل آدم .

فكلمة كيف هذه لايسأل عنها الله سبحانه وتعالى . . بل يسأل عنها من هم دون الله . . ان الله هو الذى يخلق ولا قيود على قدرته . . ولذلك كان الجواب من الله سبحانه وتعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾

(سورة آل عمران ٤٠)

. . وكان جوابا إيمانيا قويا لم يستطع بعده زكريا أن يسأل أو يقول شيئا . . لأن الجواب لايفتح المجال لأى سؤال ـ فطلاقة قدرة الله فى كونه تفعل كل شىء .

أما مريم التى عرفت طلاقة القدرة فى محرابها فيما يأتيها من رزق لايخضع لأسباب الدنيا . . فقد كانت راضية بذلك تحس أنه من رضا الله سبحانه وتعالى عليها . . وظلت مريم تتعبد فى محرابها . . تعبد الله الذى اصطفاها وطهرها على نساء العالمين . . الى أن جاء اتمام معجزة خلق الانسان . . وهنا نزلت الملائكة لتبشر مريم بالمعجزة .

إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ

(سورة آل عمران ٤٥)

. . هنا نتوقف عند قوله تعالى ﴿ بكلمة منه ﴾ . . فنقول ان الله سبحانه وتعالى حين بشر زكريا بمولد ابنه يحيى قال :

مثل عيسى كمثل آدم .

﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾

(سورة آل عمران ٣٩)

وقال الله لبنى إسرائيل :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾

(سورة الأعراف الآية ١٣٧)

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ ﴾

(سورة يونس ـ الآية ٣٣)

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

(سورة يونس الآية ٩٦)

وقال جل جلاله :

﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾

(سورة غافر الآية ٦)

. . وقال :

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾

(سورة فصلت الآية ٤٥)

. . وقال سبحانه :

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾

(سورة البقرة الآية ٣٧)

وقال :

﴿ * وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾

(سورة البقرة الآية ١٢٤)

. . وقال تبارك وتعالى :

﴿ يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾

(سورة الانفال الآية ٧)

وقال :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ

مثل عيسى كمثل آدم .

كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا

(سورة الكهف - الآية ١٠٩)

وهكذا نرى ان الله سبحانه وتعالى قد استخدم لفظ كلمة بمعنى أنه أمر يتم ولارجوع فيه وأنه قد استخدمها فى عدة مواضع فى القرآن الكريم كما بينا .

ويخلق ما يشاء

حين جاءت الاشارة الى مريم ، ورغم أنها رأت رؤيا اليقين طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى فى أن يرزقها بما يشاء فى أى وقت يشاء . . فانها اهتزت بعنف . . اتجهت الى الله سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾

(سورة آل عمران الآية ٤٧)

. . هنا رجعت مريم الى الاسباب مرة اخرى وهزتها المعجزة من داخلها . . وقالت ياربى كيف أرزق بولد ، وأنا عذراء لم يمسسنى بشر ، ولم يقترب منى انسان وحينئذ جاء الرد من الله سبحانه وتعالى ﴿ **كذلك** ﴾ . . أى أن هذا السؤال لايسأل لله والله بقدرته يفعل ما يشاء . . وكلمة كيف قالها زكريا وكان رد الله سبحانه وتعالى عليه هو نفس الرد . . كذلك يفعل الله ما يشاء وكان رد الله على مريم كذلك يخلق الله ما يشاء . .

مثل عيسى كمثل آدم .

ويلاحظ هنا أن الله سبحانه وتعالى قد فرق فى لفظ واحد اختلف فى الردين . . فعندما رد على زكريا قال يفعل ما يشاء لماذا ؟ . . لأن الأسباب موجودة ولكنها لاتفعل . . والله حينئذ يجعلها تفعل . . ولكن فى رد الله سبحانه وتعالى على مريم . . لم تكن هناك أسباب فمريم لم يمسسها بشر . . ولذلك قال الله ﴿ يخلق ما يشاء ﴾ . . لأنه فى هذه الحالة لن يأمر الله الأسباب لتفعل . . فالاسباب غير موجودة ولكنه سيخلق خلقا مباشرا لاتمام معجزات خلق الانسان . . وهكذا الاختلاف فى الردين بالتدليل بكلمة واحدة على أن المستفهم عنه شىء واحد . . ولكن الذى سيتم فى الحالتين مختلف . . ففى الحالة الأولى عند زكريا سيجعل الله الأسباب تفعل . . وفى الحالة الثانية سيخلق الله بشراً بقدرته سبحانه وتعالى .

ومضت الملائكة فى بشارتها من الله الى مريم . . تبين لها أن من سيخلقه الله سيكون له شأن كبير .

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

(سورة آل عمران الآية ٤٨ و٤٩)

وهكذا حملت الملائكة بشرى الله الى مريم ليثبتها على ما هى مقدمة عليه . . وكيف ستواجه الناس . . وماذا ستقول لهم . . وهل سيصدقونها ؟ . . فاذا بالملائكة تبشرها من الله بأن من سيتم خلقه سيكون رسولا من الله وسيؤيده بالمعجزات الدامغة التى تحمل الدليل على صدق ما ستخبر به مريم قومها . . وان عيسى ابن مريم الذى سيأتى متمما لمعجزات الله فى خلق البشر بأن يخلق من انثى بلا رجل . . ستكون معه الدلالة على صدق المعجزة التى تمت بانه سيخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طيرا باذن الله . . وأنه سيحيى الموتى بإذن الله . . وأن هذه المعجزات الخارقة التى أعدها الله سبحانه وتعالى قد اعدت لتكون تأييدا قويا على صدق رسالة عيسى عليه السلام ، وصدق تبليغه عن الله . . وعلى صدق المعجزة التى تمت بطريقة ميلاده .

واهــتزت مــريم

ورغم كل هذا التثبيت فإن مريم قد اهتزت من المعجزة وعندما اراد الله سبحانه وتعالى ان تتم عملية الخلق وارسل اليها الملك ليتم النفخ من روح الله . . تماما كما حدث فى خلق آدم عندما قال الله سبحانه وتعالى فى خلق آدم :

﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾

نفس عملية الخلق تمت مع عيسى عليه السلام . . الفرق الوحيد أن آدم خلق من غير ذكر أو أنثى . . وعيسى خلق من أنثى بغير ذكر . .

مثل عيسى كمثل آدم .

عندما جاء الملك مفوضا من الله سبحانه وتعالى ليتم نفخ الروح .

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾

(سورة مريم من الآية ١٨ إلى ٢١)

.. أى أن مريم رغم كل التثبيت الذى تم اهتزت وقت المعجزة وأعادت الأمر إلى الأسباب مرة أخرى .. فجاء الرد من الله سبحانه وتعالى وكان نفس الرد « كذلك » ثم جاء بعد ذل الشرح لما يحدث كيف تتعجبين من حدوث هذا الخلق من الله سبحانه وتعالى وهو شيء هين على الله .. لا يحتاج إلى جهد وليس أمراً صعبا .. فكل ما فى هذه الدنيا وكل ما يريده الله فيها هو هين عليه .

﴿ قال كذلك قال ربك هو على هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ﴾

(سورة مريم ٢١)

وهكذا تم اخبار مريم بالحكمة من كل ما يحدث .. ان هذا الطفل الذى سيأتى هو آية من الله سبحانه وتعالى للناس لاتمام آيات خلق الله للبشر

وليعلم الناس أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق بشرا بدون ذكر وأنثى وقادر على ان يخلق بشرا من ذكر دون انثى وقادر على أن يخلق بشرا من أنثى دون ذكر وقادر على ان يخلق بشرا من ذكر وانثى . . تلك هى الآية التى اراد الله سبحانه وتعالى أن يبينها للناس . . ثم هو رحمة لبنى اسرائيل يعلمهم الكتاب والحكمة . . ويحل لهم بعض الذى حرم عليهم . . وهو رحمة لهم فى أن يصحح لهم الذى حرفوه ويخرجهم من ماديتهم وعبادة الذهب والمال الى الروحانيات . . ثم يختتم الله سبحانه وتعالى الآية حسما للأمر بأن ما يحدث من معجزة الخلق هو أمر مقضى من الله سبحانه وتعالى لارجوع فيه ولاتوقف فى تنفيذه .

حينئذ نكون قد وصلنا الى الحكمة من المثل الذى ضربه الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم . . « ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » . . والله سبحانه وتعالى يريد ان يقول لنا لماذا تعجبون من خلق عيسى من انثى بلاذكر . . ولاتعجبون من خلق آدم بدون ذكر وانثى والمعجزة فى خلق آدم اكبر واشمل من معجزة خلق عيسى فكلاهما خلقته من تراب . . وكلاهما نفخت فيه الروح . . وإذا كنتم تريدون ان تعرفوا لماذا تمت هذه المعجزة . . فهى لم تتم دون حكمة . . بل كانت لها حكمة هى إتمام معجزات خلق البشر . . وقد سبق إتمام هذه المعجزة منذ إعداد لمريم عليها السلام ، وتثبيتها بطلاقة القدرة حتى اذا جاء أمر الله لم يزلزلها . . ومع ذلك فانها اهتزت حين جاءها الملك لنفخ الروح وتساءلت كيف تضع غلاما ولم يمسسها بشر فجاء الرد من الله سبحانه

مثل عيسى كمثل آدم .

وتعالى ان الله يخلق ما يشاء بدون اسباب لأن ذلك من طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى . . على ان الله ضرب فى القرآن الكريم امثلة للجنة وما سيلقاه فيها المؤمن من نعيم . . والنار وماسيجده فيها الكافر من عذاب . . وذلك هو موضوع الفصل القادم . .

حديث قدسي

أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رات ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، واقراوا إن شئتم : (وظل ممدود) ، وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ، واقراوا إن شئتم : (فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) .

* * *

يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا ابالى ، يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا ابالى ، يا ابن آدم لو اتنيتنى بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا ، لاتيتك بقرابها مغفرة .

* * *

إذا أحب الله عبدا نادى جبريل : انى احببت فلانا فاحبه ، قال : فينادى فى السماء ، ثم تنزل له المحبة فى اهل الأرض ، فذلك قول الله :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) .

وإذا ابغض الله عبدا نادى جبريل : إنى قد ابغضت فلانا ، فينادى فى السماء ثم تنزل له البغضاء فى الأرض .

* * *

الفصل الخامس

مثل الجنة والنار

مثل الجنة والنار .

الله سبحانه وتعالى ضرب فى القرآن الكريم أمثالا كثيرة للجنة والنار . . وهى أمثال امتدت فى معظم آيات القرآن الكريم . . وذلك حتى يقرب للعقل البشرى عظم ثواب المطيع ، وعظم عقاب الكافر أو غير المؤمن . . وذلك لأن هذه هى نهاية الخلق أو هدفه . . فكما قلنا ان الله سبحانه وتعالى قد خلق أجناسا مقهورة لطاعته وخلق الانس والجان مختارين فى الطاعة . . وطلب منهم أن يكونوا طائعين باختيارهم هم . . وذلك كما بينا فى الفصل الأول .

والايمان كما بينا هو اختبار لحب الله فى القلب . . فالانسان المؤمن هو من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . . هنا يثور سؤال طالما وجه الى . . لماذا يعذب الله سبحانه وتعالى خلقه ؟ . . ولماذا يوضعون فى النار ؟ . .

الله سبحانه وتعالى لا يريد العذاب لأحد . . بل يريد أن يدخلنا جميعا جنات النعيم خالدين فيها . . وحب الله سبحانه وتعالى يجعله أرحم بنا من رحمة الأب والأم بأولادهم . . الله خلق لنا هذا الكون كله بكل ما فيه من نعم . . خلقه بتمام قدرته . . ووضع فيه قوى أكبر منا كثيرا كالشمس والقمر والجبال والبحار وغيرها . . تلك القوى تستطيع أن تهلك ابن آدم فى لحظات . . فالبحر اذا انطلق على اليابسة جردها من الحياة . . والشمس إذا اقتربت من الأرض أحرقتها . . والجبال لو تزحزحت من مكانها لاختل توازن الأرض تماما وهوت فى الفضاء السحيق والنجوم لو اختل نظامها واصطدمت بالأرض لدمرتها تماما . . اذن كل هذه القوى هى

أكبر وأقوى من الانسان . . ومع ذلك سخرها الله قهرا لخدمة الانسان . . فقال للشمس أشرقى كل يوم لتضيئى له وتعطيه الدفء اللازم لحياته . . وتعطيه النور اللازم لعمله . . وتتفاعلى مع الأرض والنبات لتعطيه الطعام اللازم لحياته . . وقال للماء : كن أنهارا عذبة لتسقيه ماء عذبا يحفظ له حياته فى الأرض . . وكن بحارا لتعطيه الطعام وتنقله من مكان الى آخر . . ووضع كل شىء فى مكانه لخدمة الانسان . . ثم أوجد له طعامه فى الأرض . . ولم يوجد له طعاما واحدا ليحفظ حياته . . بل وضع له الرفاهية فأوجد له طعاما مختلفاً ألوانه . . فهذا حلو . . وهذا مر . . وهذا له طعم مختلف محبب الى النفس . . أى أن الله سبحانه وتعالى لم يوفر الضروريات فقط للانسان فى حياته . . بل وفر له الكماليات وأعطاه الرفاهية . . وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى . .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾

(سورة فاطر ـ الآية ٢٧ ، ٢٨)

هكذا أوجد الله للانسان كل النعم فى الكون . . ووضع له ما يحفظ حياته فى جسده وفى عقله وفى قدراته . . وتم ذلك كله بقدرة الله . .

ودون أن يكون للانسان أى دخل . . ودون أن يبذل جهدا . . ودون أن يحرك قدما اويدا .

وجاء الانسان الى الكون والنعمة كلها موجودة . . ووجد الشجر الذى يستظل به من حرارة الشمس . . ووجد الطعام الذى يأكله والماء الذى يشربه . . واللبن الذى يسقيه لاطفاله . . ثم كشف الله للانسان من علمه فى الأرض ما يجعله قادرا على عمارتها . . وقال له انطلق الى عمارة الأرض تزدد خيرا . . وتزدد رفاهية وتزدد سعادة . . وانني سخرت لك كل ما فى الكون وأعطيتك كل هذا الرزق فوجب عليك ان تشكر الله . . ولم يطلب الله منا أن نسجد له ليلا ونهارا ولا حملنا ما لاطاقة لنا به . . والله سبحانه وتعالى يقول لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . . بينما أعطانا من العبادات ما يستغرق دقائق معدودة فى اليوم . . نصلى له شكرا لهذه النعم التى لا تعد ولا تحصى . . وزاد الله فى رحمته وفضله ، وقال من يشكرنى ويعبدنى طائعا مختارا أعددت له جنة فيها كل النعم بقدرات الله سبحانه وتعالى . . وابقيته فيها يتمتع بهذه النعم خالدا فيها لا يموت ولا يمرض ولا يتعب جزاء له على هذا الشكر وهذه العبادة التى قدمها . . هذا هو كرم الله . . وهذا فضله . . نعم بلا حدود . . وكون بديع جميل يخدم الانسان بلا مقابل . . ثم جنة جعل الله فيها مكانا لكل واحد من خلقه . . فكل منا له مقعد فى الجنة . . ومقعد فى النار .

ماذا فعل الانسان ؟ . . هل قدم الشكر الذى أوجبته هذه النعم عليه ؟ لا . . بل انه أخذ كل هذه النعم وتمتع بها دون ان يؤدى حتى حق

الشكر . . مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى . .

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

« سورة سبأ الآية ١٣ »

. . ولم يفعل ذلك فقط . . ليته لم يقدر الشكر وسكت . ولكنه مضى الى الكون يفسد فيه . . فقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق . . واحتكر خيرات الله فوجد فى الكون أناسا يملكون أكثر مما يستطيعون أن يأكلوه وشعوبا أخرى تموت من الجوع . . وماذا فعلت الشعوب التى تملك أكثر من حاجتها أخذت نعمة الله التى خلقها لاطعام الانسان وأفسدتها وألقت بها فى البحر . . قطعت الأشجار والغابات التى هى رئة الكون يتنفس بها وبنت مكانها كل ما يلوث الجو ويفسده . . خلق الله الانسان حرا . . فإذا بالانسان يستعبد الانسان . . يستعبده بالمال . . ويستعبده بالحاجة . . ويستعبده بما خلق الله فى الكون للناس جميعا . . خلق الله الانسان آمنا . . فإذا بالانسان يستعبده بالخوف والايذاء وبكل ما هو كريه يفسد به صنعة الله وخلقه . . طلب الله من كل منا ان يحترم حقوق الآخر . . فإذا بالانسان يعتدى على حرمات أخيه وعلى ماله وعرضه .

منهــج اللــــه . .

بل انطلق الانسان الى أكثر من ذلك . . وضع الله سبحانه وتعالى له منهج الحياة فى الأرض . . وقال إذا طبقت هذا المنهج فانك ستعيش حياة سعيدة فى الدنيا والاخرة . . فجاء الانسان الى منهج الله فغيره وأفسده . .

وحين تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ المنهج بقدرته هو ، بحيث لا يتم فيه تبديل ولا تغيير . . انطلق الانسان تاركا منهج الله وبدأ يشرع لنفسه ، فيحلل ما حرم الله . . ويحرم ما أحله . . ويضع عقله ظلما وزيفا وعدوانا فوق قدرة الله . . فيشرع لنفسه مستخدما هوى النفس . . مضلا عن الله . . ثم يمعن ويحاول ستر وجود الله . . ويعبد الاحجار والأصنام والحيوانات والانسان . . فإذا سألته هل هؤلاء جميعا يستطيعون أن يخلقوا مثل هذه الحياة . . يحاول ان يجادلك عبثا فى الخلق . . ولو أنه شهد الخلق لقلنا شاهد ومن حقه الكلام . . ولو أنه علم اسرار الخلق لقلنا عالم يتحدث عن علمه ، ولكن لا هذا ولا ذاك . . فلا هو شهده ولا هو يعلم . . ومع ذلك هو يكابر ويحاول أن يضل الناس . . فيقول الله فيه . .

﴿ * مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ (سورة الكهف ـ الآية ٥١)

. . هذا هو الانسان وهذه هى نعم الله عليه . . وهذا هو كفره بهذه النعم حتى أن الله سبحانه وتعالى قال . .

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾

(سورة عبس ـ الآية ١٧)

لكن الله عدل . . وهو رب العالمين . . ومن هنا فإنه يعطى لخلقه

حقوقا متساوية . . وهو قيوم قائم على كونه . . من هنا فإنه حريص على حقوق كل عبد من عباده . . ضعيفهم وقويهم . . صغيرهم وكبيرهم . . فإذا اعتدى القوى على الضعيف كان ذلك اعتداء على حق من حقوق الله فى قيوميته على خلقه . . وإذا ظلم جبار الناس . . كان ذلك اعتداء على حقوق الله فى كونه . . والله سبحانه وتعالى بعد أن كفل لكل منا حقا متساويا دون تمييز بين جنس أو لون أو مركز . فكلنا أمام الله متساوون لافرق بيننا إلا بالتقوى . . والله سبحانه وتعالى إما أن يكون قادرا على حماية خلقه وحماية الحقوق التى أعطاها لهم بعدله . . وإما أن إن يكون ـ تنزه وتبارك وتعالى ـ عاجزا عن ذلك . . والله قادر . . وقاهر . . ومن هنا فان عدله يقتضى القصاص . . لأنه لا موجب ولا مبرر للظلم إلا هوى النفس البشرية وحرص الانسان أن يتميز على غيره وأن يعلو عليه ويستعبده . . ولذلك فإن القصاص يكون عدلا . . ما دام الله قد أعطانا حقوقا متساوية فلا يعتدى واحد منا على خلق الله . . فيفسده أو يهدر حقا من الحقوق التى أعطاها الله لخلقه .

رحمـــة اللـــه

ومع هذا . . ومع كل هذه النعم التى أعطاها الله للانسان بلا مقابل وبدون جهد بشرى . . بل بقدرة الله سبحانه وتعالى . . ومع أن الانسان أفسد وظلم . . وأكل حقوق غيره . . وعبث فى كون هو من خلق الله . . ونقل الحياة من السعادة والازدهار إلى البؤس والشقاء . . وقد شاءت رحمة الله سبحانه وتعالى أن يمهله المرة تلو المرة . . وان يبعث له الرسل رسولا

بعد رسول . . وأن يجعل عباده المؤمنين يذكرون البشرية كلها ببشاعة فعلهم ويذكرونهم بعذاب الله . . فإذا تاب انسان ورجع عن ظلمه وندم على ما فعل . . تاب الله عليه برغم كل الآثام التى ارتكبها . . وإذا رفع يديه الى السماء وطلب المغفرة من الله . . غفر الله له وعفا عنه . . ويذكره الله ويقول . .

إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا

(سورة الزمر ـ الآية ٥٣)

. . ويقول توبوا الى الله توبة نصوحا . . علينا نرجع . . علينا نفيق ـ علينا نتذكر . . ولكننا لا نتذكر الله إلا ساعة الشدة . . أو ساعة الضيق . . أو ساعة الموت . . تلك هى الساعات التى يتذكر فيها الانسان قوة الله سبحانه وتعالى وقدرته . . فيرفع يديه الى السماء ويصيح يارب فإذا أعطى كفر . . تلك هى حقيقة الانسان الذى فتح الله له من أبواب رحمته ابوابا واسعة . . وفتح له من أبواب التوبة ما يسع الذنوب جميعا . . وفتح له من أبواب التذكرة ما جعله يفيق ويرجع . . ولكنه أبى كبرا وعنادا إلا ان يمضى فى ضلاله متحديا كل منهج الله . . فكان حقا عليه العقاب .

الله سبحانه وتعالى لا يريد ان يعذب أحدا من خلقه . . لأنه هو الذى خلقهم وأوجدهم . . فيقول فى كتابه العزيز . .

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾

(سورة النساء ـ الآية ١٤٧)

. . ولكن الانسان هو الذى يوجب على نفسه العذاب . . وهو الذى يوجب على نفسه اللعنة . . وهو الذى يوجب على نفسه سوء المصير . . الله يذكره برحمته . . يذكره بنعمه . . ويذكره بقدرته . . ويقول . .

﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾

(سورة النساء ـ الآية ٢٨)

. . أى أنت أيها الانسان لاحول لك ولاقوة إلا بقدرة الله سبحانه وتعالى . . أفق . . تنبه . . قف لحظة واحدة لتتنبه الى أين تسير . . ولكن الانسان لا يتنبه ولا يتدبر ولا يعرف الى أين يسير . . ويذكره الله فى القرآن الكريم بالجنة والنار . . ويضرب له الأمثال ليقرب له المعنى إلى ذهنه . ولكن الانسان بدلا من أن يقبل على الله يزداد نفورا وبعدا عن الله سبحانه وتعالى . . ويزداد غرورا ، حتى تحق عليه كلمة العذاب . . وحينئذ حين يرى العذاب . . يحس ببشاعة ما فعل وما اقترفت يداه .

ولكن الجنة . . أو الآخرة . . فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت . . ولا خطر على قلب بشر . . ومادامت هذه هى الحقيقة . . فكيف يضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال لنا بما لم نسمع ولم نر ولم يخطر على عقولنا . . إذن فكل الامثال التى ضربها الله فى القرآن الكريم عن الجنة والنار لا يمكن ان تصل الى الحقيقة . . ولكن الله سبحانه وتعالى ضربها لنا لتؤدى معانى ولتضع فى عقولنا ما هى فلسفة النعيم الذى ينتظرنا فى الجنة . . وما هى بشاعة العذاب الذى ينتظره الكافرون فى النار . . على أننا قبل أن نبدأ هذا

لابد لنا من أن نتذكر مثلا جاء فى القرآن الكريم ، وذلك فى قول الله تعالى . .

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾

(سورة الجمعة ـ الآية ٥)

. . أى أن الله شبه من يعلم منهجه ولا يعمل به كأنه فى منزلة أقل من منزلة الحمار . . لماذا ؟ . . لأنه يحمل هذه الكتب التى فيها الحكمة والحق والبيان . . ثم بعد ذلك لا يستفيد منها سوى أنه يحمل ثقلها . . ولكن لماذا هذا الانسان فى منزلة أقل من منزلة الحمار؟ . . لأن الحمار خلق ليحمل الاثقال فى الحياة وينقلها من مكان الى آخر . . ولم يعطه الله موهبة العلم . . أو ييسره ليتعلم . . ولذلك هو حين يحمل هذه الكتب التى تحتوى الحكمة من مكان إلى آخر يؤدى مهمته فى الحياة . . يفعل ما خلق من أجله . . ولكن الانسان أعطاه الله موهبة العلم . . وجعله صالحا لأن يتعلم ويعى ، ويطبق منهج الله . . ولكنه لا يؤدى مهمته فى الحياة . . فهو يحمل هذه الكتب ولا يعمل بها . وهو يقرأ ولا يعى . . فكأنه فى منزلة أقل من منزلة الحمار . . لأن الحمار يؤدى مهمته فى الحياة . . والانسان الكافر المبتعد عن منهج الله لا يؤدى مهمته فى الحياة .

مثـــل الجنـــة

الله حين يضرب لنا الأمثال يقول . .

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾

(سورة محمد ـ الآية ١٥)

. . عندما نقرأ هذه الآية ونتذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة (فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر) . . يلاحظ فى حديث رسول الله أنه بدأ بالعين ثم الأذن ثم قلب البشر . . لأن العين فى رؤياها لها حدود . . ولكنها أهم من عدد من الحواس الاخرى كاللمس مثلا . . فان العين ترى أبعد ما تلمس اليد . . أو كالشم مثلا فان العين ترى ابعد وأوسع من الرائحة التى يشمها الأنف . . وهكذا . . ثم تأتى الأذن لأن الأذن أوسع فانك قد تسمع صوت انسان ولكن نظرك لا يدركه . . والأذن تسمع تجربة غيرك وتعيها . . أما العين فلا ترى الا ما يحدث أمامها . . ثم يأتى مالا خطر على قلب بشر ـ لأن ما يخطر على قلبك أوسع كثيرا مما تراه عينك . . وكما قلنا : ان المعنى يسبق اللفظ . . ووجود اللفظ دليل على ان المعنى موجود . . وذلك ما بيناه بالتفصيل فى فصل سابق .

فاذا كانت المعانى التى فى الآخرة ما لاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . . فلا توجد لها ألفاظ فى اللغات تعبر عنها . . ولذلك فاننا نلاحظ دقة الله سبحانه وتعالى فى استخدامه مثل الجنة دون أن يطلق الألفاظ على اطلاقها . . ولذلك فان الحديث مختلف عما سنراه فى الجنة . . انه حديث على قدر عقولنا وفهمنا بما تراه فى الدنيا .

نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى حينما تحدث عن النعيم فى الجنة كان هناك خط مشترك يربط بين هذا كله . . ذلك أن الله سينزع من كل نعمة من النعم ما يضايق الانسان فى الدنيا ، أو ما يسبب له الضيق . . فالماء فى الدنيا حين تتركه فترة راكدا فانه يفسد ويصبح ماء آسنا . . يتغير طعمه فلا تستسيغه .

ولكن فى الآخرة لا شىء من هـذا . . الماء دائما وأبدا سيكون حلو المذاق نقيا طاهرا . . كلما شربت منه ازدادت حلاوته فى فمك . . وكذلك العسل . . وكذلك باقى النعم كلها منقاة من الشوائب . . منقاة من كل شىء . . مخلوقة خلقاً جديدا صافيا . . ليس هو خلق الدنيا . . ولكنه خلق لا يلحقه أى نوع من العيوب التى تظهر فى نعم الدنيا حين تترك لفترة أو يساء استخدامها . . بأن تتحول من حلال الى حرام . . كالعنب الذى يصنعون منه الخمور من رزق حلال الى رزق حرام . . والخمر فى الدنيا إثم ، لأنها تذهب العقل . . والانسان حين صنعها ملأها بالشوائب الضارة التى تجعلها ضارة بالصحة وضارة بالجسد . . وضارة بالعقل وفيها أذى كبير للانسان . . لذلك حرمها الله . . وهى حين تغيب العقل تدفع

الانسان الى طريق الشر ، والى طريق الشيطان . . لذلك فهى أم الكبائر . . من يشربها يستحل كل كبيرة . . ولكنها فى الآخرة غير ذلك . . ان الله سبحانه وتعالى ينزع منها كل هذه الشوائب . . ويوجدها بتكوين طاهر غير هذا التكوين الذى نعرفه فى الدنيا .

كل شـــىء مطهـــر

أى أن كل نعم الله ستكون طاهرة مطهرة من كل شائبة . . الماء لا يأسن ولا يتلف . . واللبن لا يتغير طعمه . . وكل شىء هو مخلوق ليكون نعيما مطلقا دون أن يكون فيه ما يكدر ، أو ما يضر ، أو ما يؤذى آكله أو شاربه . . ذلك هو المعنى الذى يريد الله تعالى أن نفهمه من المثل الذى ضربه . . لأن عقولنا لا تستطيع ان تعى ما هو موجود فعلا فى الجنة . . لذلك يقول الله أن ما هو موجود سيكون نعيما ليس فيه شائبة واحدة . . ليس فيه ما يكدر الصفو أبدا . . ولا يصيب الانسان بأى نوع من الضيق ولو كان ضيقا خفيفا . . ولذلك فهو نعيم يحيط به نعيم .

هذا بالنسبة لنعم الله سبحانه وتعالى . . أما بالنسبة لأهل الجنة فيزال من نفوسهم كل ما يضايق أو تضيق به النفس . . فيقول الله سبحانه وتعالى . .

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾

(سورة الحجر الآية ٤٧)

والغل فى القلب والحقد هما آفة الدنيا . . أى أن الذى يفسد الدنيا

ويفسد العلاقات بين الناس . . ذلك الحقد الذى يصيب الانسان . . فيجعل فى قلبه غلا نحو انسان آخر فيفسد الجو بينهما ويصبح كل منهما عدوا للآخر . . وتبدأ مع العداوة البغضاء وشرور الدنيا . . والله سبحانه وتعالى يريدنا أن نعرف ان الانسان فى الجنة سيكون مطهر القلب . . وأن المجتمع فى الجنة سيكون مجتمعا متحابا . . مجتمعا ليس فيه غل ولا حقد ولا كل ما يشوه الحياة الدنيا ويضع فيها أى نوع من أنواع الشقاء . . فالله يريد منا بهذا المثل أن نعرف . . ان الانسان فى الجنة لن يكون كالإنسان فى الدنيا . . بل سيكون مطهرا من كل الشوائب . . ومن كل الأشياء التى قد تسبب أو تثير أى نوع من الشقاء . . وإلى ذلك يشير الله سبحانه وتعالى . .

﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾

(سورة البقرة ـ الآية ٢٥)

. . أى أن التطهر هنا سيكون شاملا وكاملا . . كيف سيكون ؟ . . وكيف سيتم ؟ . . ذلك علم الله . . ولكن الله سبحانه وتعالى كما سينزع من النعم كل ما يضايق النفس البشرية . . كذلك سينزع من الانسان كل ما يثير الشقاء فى المجتمع . . الى أى درجة ؟ . . تلك التى لا يعرفها أحد لأنها من قدرات الله سبحانه وتعالى .

الجنة مجتمع مطهر من كل شىء يصيب من يعيش فيه بأى نوع من الضيق أو الشقاء أو عدم الراحة . . وذلك يحدث بقدرة الله سبحانه

وتعالى . . هذا ما يريدنا الله أن نفهمه من هذه الأسئلة انه سيأتى بنعم مطهرة وأزواج مطهرة . . ونفوس مطهرة . . ليصبح هذا المجتمع الطاهر نعيما لا تدخل فيه ذرة واحدة مما يثير الضيق فى النفوس . . فإذا وصلنا الى هذه الصورة . . لم نصل الى كيف يكون النعيم فى الجنة . . ولكننا نكون قد وصلنا الى ما تستطيع عقولنا أن تفهمه عن معنى النعيم فى الجنة . . دون أن نصل الى حقيقته . .

لماذا تترك المرأة ؟

على ان هناك قبل ان نترك هذه النقطة لنتحدث عن مثل العذاب فى النار . . تلك النقطة هى التى تثار دائما فى لقاءاتى . . خصوصا تلك التى تحدث مع المستشرقين . فى أن الله سبحانه وتعالى أعد حورا عينا فى الجنة للرجال . . ولم يعد مثل ذلك للنساء . . نقول لكل من يثير هذا الحديث إنك لاتفهم طبيعة الحياة . . ذلك ان كرامة المرأة فى ان يكون لها رجل واحد . . والمرأة المبتذلة هى التى يتعدد عليها الرجال . . أما المرأة الحرة فقد يموت زوجها فترفض أن تتزوج حتى لا يدخل عليها رجل آخر . . وإذا كانت طبيعة خلق الله للمرأة هى أن كرامتها فى ألا يتعدد عليها الرجال . . فكيف يأتى الله سبحانه وتعالى فى الجنة وهى دار النعيم ويجعلها دار إهانة للمرأة .

عندما سئلت هذا السؤال فى أمريكا . . قلت لمن سألنى هل لديكم مكان يستريح فيه النساء ويجدن رجالا متعددين ؟ قال : لا . . قلت : لماذا

تقيمون مكانا يرتاح فيه الرجال جنسيا ويجدون فيه من النساء ما يريدون ، ولا تقيمون نفس المكان للنساء فيه رجال يقومون بنفس المهمة . . فسكت ولم يجب . . وسألته هل هذا المكان الذى يوجد فيه النساء ويذهب اليه الرجال ليقضوا ساعة أو ساعتين فى متعة محرمة يخضع لاشراف طبى ؟ . . فقال بحماس شديد . . نعم إشراف طبى كل يوم . . قلت وهل تفعلون ذلك مع النساء المتزوجات . . قال: لا . . قلت : لماذا ؟ . .

فسكت فقلت له : لأن تعدد الرجال على المرأة الواحدة يخلق الأمراض الخبيثة . . فهل تريد من الله سبحانه وتعالى فى الآخرة أن يهين كرامة المرأة . . وقد ارتفع بكرامتها فى الدنيا وأحل لها زوجا واحدا . . وهل تعدد الرجال على المرأة الواحدة الذى هو نوع من الاهانة . . ونوع من الجلب للمرض . . نريد من الله أن يجعله فى جنة كلها نعيم . . ان المرأة الحرة ترفع رأسها الى السماء وهى تمشى . . وتموت جوعا ولاتبيع جسدها . . هذه هى كرامة المرأة . . وهى كرامة يحافظ الله سبحانه وتعالى عليها فى الآخرة . . ويجعلها مرفوعة الرأس محفوظة الكرامة فالحرة لا تزنى أبدا . . والمرأة الكريمة الشريفة تكره أن يتعدد عليها رجل آخر حتى بعد أن يموت زوجها . . وتلك هى الحكمة .

عرض سريع للأمثال التى ضربها الله سبحانه وتعالى للجنة . . فمجتمع مطهر من كل شائبة . . وبشر مطهرون من كل ما يثير أى نوع من أنواع الشقاء أو التكدير فى النفس . . تأتى فيه الأشياء الى الانسان دون تعب أو جهد . . وبمجرد ان ترد على خاطره يجدها أمامه فليس فيه تعب

ولا نصب ولا غل ولا حقد . . كل النعم مطهرة . . وكل ما فيه مطهر . . نعيم فى نعيم . . ثم نضيف الى ذلك أن هذا النعيم هو على قدرة الله سبحانه وتعالى وليس على قدرة البشر . . وبذلك يكون نعيما فى أعلى درجات العلو . . وتمتعا فوق كل تصور بشرى . .

العذاب فى النار

نأتى بعد ذلك الى الأمثلة التى ضربها الله سبحانه وتعالى بالنسبة للعذاب فى النار والعياذ بالله . . هذه الامثلة لا تمثل حقيقة واقع العذاب . . ولكنها تعطينا كما أعطتنا الأمثلة عن الجنة صورة مقربة تجعلنا نفهم طبيعة هذا العذاب الرهيب . . فالله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا إن العذاب فى النار لا ينتهى أبدا . . أى أنه عذاب مستمر لا يتوقف دقيقة واحدة فيقول . .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

(سورة النساء ـ الآية ٥٦)

. . ونحن نعلم بعلمنا البشرى أن الأعصاب التى تنقل الحس الى الانسان والتى تجعله يشعر بالالم موجودة تحت الجلد مباشرة . . ومن هنا نعرف ان المسألة ليست عذابا بحيث يحترق الجلد وتحترق معه الأعصاب . . ثم لا يشعر الانسان بشىء ولكن كلما احترقت الأعصاب

بدل الله جلود الذين يعذبون فى النار بجلود أخرى تحتها أعصاب حية ليستمر الشعور بالالم والاحساس بالعذاب . . لأن الله يريد بهذا المثل ان يقول لنا لا تحسبوا ان عذاب النار مجرد عذاب وقتى . . أو أن الانسان يحترق ولا يحس بشىء . . بل كلما احترقت الجلود بدلناها بجلود غيرها . . ويعطينا الصورة البشرية التى نفهمها بأن العذاب مستمر لا يتوقف دقيقة واحدة . . فإذا كان هناك خلود فى النار . . فالعذاب فيها لا يتوقف أبدا . .

ويمضى الله فى بيان صورة العذاب فى النار فيقول :

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾

(سورة الحاقة ـ الآية ٣٠ , ٣١ , ٣٢)

. . وهنا نجد صورة أخرى من العذاب هى ان الانسان سيكون وسط هذا الجحيم مقيدا بالسلاسل . . وأنت إذا أردت ان تعاقب انسانا فى الدنيا فانك تقيد حركته وتربطه بالسلاسل . . هذا وحده عذاب للبشر دون أن يكون معه أو مضافا اليه عذاب آخر . . فإذا أضفت اليه عذاب النار كان ذلك عذابا مضاعفا . . لذلك فإن الله يريد أن يقول لنا مع هذا الألم المستمر من النار الذى يتجدد بتجديد الجلود . . فإن الانسان لا يستطيع أن يتحرك يمينا أو يسارا . . لأنه ربما خففت عنه الحركة العذاب قليلا . . ولكن حتى هذا التخفيف غير موجود . . فهو مقيد فى مكانه . . لا يستطيع

ان يتزحزح عنه . . مما يجعل الشعور بالعذاب مضاعفا . . ثم يضاف الى ذلك الماء الذى يشربه . . والطعام الذى يأكله . .

﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾

(سورة محمد الآية ١٥)

﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾

(سورة النبأ ـ الآية ٢٥)

والمـــاء يغـــلى . .

فى ظل هذا العذاب المقيم . . والنار تأكل جلودهم التى تعاد اليها الحياة والسلاسل والأغلال تحيط بهم يطلبون الماء علىه يكون فيه برد يخفف هذا العذاب ولو للحظة واحدة . . فيؤتى لهم الماء . . ولكنه ماء يغلى . . ومن اللهفة على الماء يشربونه . . فبدلا من أن يخفف عليهم العذاب يزيده ويقطع أمعاءهم . . ويزيد من إحساسهم بالعذاب بالألم الرهيب . . ثم بعد ذلك يأتى لهم الطعام لعله يقيم أودهم . . يقول الله . .

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ

حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾

(سورة الصافات الآيات ٦٢ إلى ٦٧)

هنا يتحدث الله سبحانه وتعالى ليصور بشاعة ما سيأكله أهل النار فيقول . .

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾
(٦٤ الصافات)

. . ولك ان تتصور ما نوع الشجرة التى تخرج من نيران خالدة . . وكيف يكون كل ما فيها من نار . . ثم يتحدث الله عن طلع هذه الشجرة وثمارها فيقول . .

﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾
(٦٥ الصافات)

كيف يأتى هذا التشبيه ولم ير أحد منا الشيطان . . ولا يستطيع أن يفهم معنى رءوس الشياطين . . لأنه لم ير رءوس الشياطين .
عاقول ان ذلك تصوير بالغ فى الدقة . . فلو أنك قلت للرسامين فى العالم ارسموا لى صورة رأس شيطان . . لأمسك كل واحد منهم بريشته وألوانه ، ورسم شكلا بشعا مخيفا . . ولكنك إن أخذت هذه الأشكال وطابقتها على بعضها البعض لن تجد شكلا واحدا متفقا مع الشكل الآخر . ذلك ان كل واحد منهم قد رسم صورة بشعة كما تخيلها . . وكل خيال مختلف عن الخيال الآخر . . فلو كان للبشاعة شكل واحد . . لخرجت كل الصور متطابقة . . ولكن هذا يمثل بشاعة . . وهذا يمثل بشاعة . . والبشاعة

عندى تختلف عن البشاعة عندك . . وقد يمسك احد الرسامين بصورة من الصور التى رسمها زميل له ويقول ان هذه ليست رءوس الشياطين . . ان الصورة ليس فيها أى نوع من البشاعة وهى لاتخيف .

شــىء لا يعــرفه النــاس

ولهذه الحكمة ضرب الله هذا المثل . . هو لم يأت بشىء يعرفه الناس . . فما يخيفنى قد لا يخيفك . . وما يفزعنى قد لا يفزعك . . والله يريد افزاعا عاما لكل واحد منا . . فهو يأتى بكلمة رءوس الشياطين ثم يطلق العنان لخيال كل فرد منا ليتصور صورة الشيطان الذى يفزعه . . فكأن الصورة فى هذه الحالة تكون مفزعة للناس جميعا . . والله يلحق مجهولا بمعلوم . . لأن المجهول فى هذه الحالة متخيل عند الناس بوجوه مختلفة . . هذا يتخيله . . وهذا يتخليه بوجه آخر . . ولكن العامل المشترك فى هذه الخيالات كلها هو الفزع والخوف . . ولو أن الله سبحانه وتعالى أعطانا تشبيها بمعلوم لدينا نعرفه يفزع منه الناس . . لوجدت بعض الناس لا يفزعون منه . . فالثعبان مثلا يخيفنى ويفزعنى . . ولكنه بالنسبة لصائد الثعابين شىء عادى جدا لا يثير الفزع فى نفسه . . بل ان صائد الثعابين ينبش جحور الثعابين بحثا عنها . . بينما أنا لو رأيت جحر ثعبان لوليت هاربا من الفزع . . والنمر والأسد والحيوانات المفترسة تخيف الناس . . ولكن صائد هذه الحيوانات لا يخافها . . وربما لا تكون هى فى طريقه فيذهب ليبحث عنها . .

إذن قوله تعالى . .

﴿ طلعها كأنه رءوس الشياطين ﴾ هو قمة البلاغة لاثارة الفزع فى كل نفس بشرية . . فكأنما أهل النار حينما يطلبون طعاما لا يجدون إلا شجرة الزقوم . . وهم يفتنون بها فيخيل إليهم أنها طعام جيد . . فاذا أتى بها اليهم . . أثارت فى نفوسهم الفزع والرعب من بشاعتها وكأنها رءوس شياطين تثير الخوف والفزع فى نفس كل واحد منهم . . ولا تجد انسانا واحدا فى النار لا يصاب بالفزع من هذا الطعام .

نكون بذلك قد وصلنا الى الحكمة من التشبيه الذى ورد فى القرآن الكريم بالنسبة للجنة والنار . . وإن كان هذا التشبيه ليس هو الواقع باطلاقه . . ولكنه يعطينا الفكرة العامة من الواقع دون حقيقته . . فالجنة نعيم فى نعيم . . فالرزق يأتى بلا عمل . . والنعم كلها مطهرة من كل شائبة . . وأهل الجنة مطهرون من كل غل أو حقد . . والصورة بالنسبة للنار عذاب دائم لا يذهب لحظة واحدة تجدد فيه الجلود لدوام الاحساس بالألم . . ويقيد فيه الناس بالسلاسل لدوام الاحساس بالضيق ويقطع امعاءهم الماء . . ويأتى الطعام اليهم فيملأ نفوسهم رعبا . . فى كل مضغة ألم . . وفى معدتهم نار وألم . . وفى امعائهم ألم شديد

على أنه ثار فى الفترة الأخيرة سؤال حول المثل الذى ضربه الله سبحانه وتعالى بالنسبة للملائكة الذين يقفون على أبواب النار . . والعدد الذى ذكر فى القرآن . .

﴿ عليها تسعة عشر ﴾ (سورة المدثر الآية ٣٠)

. . وهذا هو موضوع الفصل القادم

الفصل السادس

عليها تسعة عشر



عليها تسعة عشر .

قبل أن نختم هذا الكتاب وهو الجزء الثانى من الأمثال فى القرآن الكريم . . لابد أن أرد على ما يثار حول الأعداد فى القرآن الكريم ومعناها الى آخر ما يقال هذه الأيام . . ولقد أشرت الى ذلك إشارة بسيطة فى الجزء الأول الذى نشر فى رمضان الماضى . . ولكن لابد لنا من العودة لايضاح عدد من الأشياء .

وقبل أن نبدأ الحديث لنا وقفة مع ما يقال على استخدام العقل الألكترونى أو « الكمبيوتر » بالنسبة للقرآن الكريم . . ذلك أن بعض الناس يتوهم أننا مادمنا قد استخدمنا العقول الالكترونية فإننا قد اتجهنا الى شاهد عدل لا يخضع لهوى النفس . . وإننا جميعا لابد أن نحنى رءوسنا إجلالا واحتراما للنتائج التى يصل إليها الكمبيوتر أو العقل الالكترونى . . وأن نسلم بها تسليما قاطعا ، باعتبار أنها آلة صماء ، لايدخل بها هوى النفس أو الهوى الشخصى .

نقول لهؤلاء جميعا إنكم قد دخلت فى قلوبكم الغفلة . . ذلك أن هذه العقول الالكترونية تعمل وفق برامج يعدها الانسان . . وأن الانسان الذى يعد هذه البرامج إذا كان لديه هوى النفس ـ فإنه يستطيع أن يعد للكمبيوتر برنامجا يوافق هوى النفس البشرية . . وأنه هناك معلومات توضع فى الكمبيوتر وتخزن فى ذاكرته . . فإذا كانت هذه المعلومات سليمة وصحيحة . . جاءت النتائج سليمة وصحيحة . . وإذا كانت المعلومات يدخلها هوى النفس . . جاءت النتائج طبقا لهوى النفس . . الكمبيوتر آلة صماء تنفذ ما يلقى لها من معلومات . . وهى لا تفكر ولا تستطيع أن

عليها تسعة عشر .

تفكر لتمنع هوى النفس من أن يصل الى النتائج التى يريدها . . سواء أكانت هذه النتائج صحيحة أم مفروضة . . ولذلك فإن علينا أن نأخذ هذه المسائل بحذر شديد . . وأن نعرف أن المعلومات التى أعطيت الى الكمبيوتر معلومات خاطئة . . ليصل الى نتائج خاطئة . .

فمثلا يقال له ما هو عدد الحروف الذى يقبل القسمة على ١٩ . . فيبدأ فى العد حتى يصل بجمع حروف سورة أو سورتين الى العدد الذى يقبل القسمة على ١٩ . . فإذا لم يكن هذا العدد ، جمع حروف سورة أخرى . . وهكذا حتى يصل ذلك الذى استخدم العقل الالكترونى الى غرضه من تضليل البشر . . وكما نرى العقل الالكترونى لا يفعل شيئا إلا تنفيذا لأوامر تعطى له . . وهو فى هذه الحالة إنما هو عبد للبرنامج الذى فى داخله .

ولذلك فإن كل مؤمن لابد أن يستبعد من حياته تماما مسألة استخدام الكمبيوتر فى القرآن الكريم . . ويعرف أن وراء هذا الاستخدام شخصا وضع البرنامج ومعلوماته ليصل الى غرضه . . وأن هذا الشخص هو الذى يعطى العقل الالكترونى ليعمل ويوجهه كيف يشاء .

تلك مقدمة لابد منها قبل أن نبدأ الحديث . . لكى يعرف الناس جميعا ، أن النتائج التى أذيعت عن طريق العقل الالكترونى يدخلها هوى النفس . . وأنها أعدت بمهارة لتضل الناس ، ونعطى غير الحقيقة ، مستخدما كلمة الكمبيوتر أو العقل الالكترونى . . لتضع الخداع فى

عليها تسعة عشر .

عقولنا . . وتوهمنا أن ما يحدث هو نتيجة لايدخلها هوى النفس لأنها تتم بآلات صماء . . نقول ان هوى النفس يدخل فى برنامج الآلة نفسها حسب ذلك الذى يضع البرنامج .

ولقد قيل إنهم حددوا موعد يوم القيامة . . وكم من مرة حدد الدجالون يوم القيامة . . فإنى أذكر أن عرافة هندية قد حددت موعد يوم القيامة . . وصدقها عدد من سكان الهند . . وفى اليوم المحدد أخذوا أمتعتهم وأولادهم وصعدوا الى قمم الجبال علها تنجيهم من يوم القيامة . . ومر اليوم ولم يحدث شىء . . ولم تكن الجبال لتقيهم من هذا اليوم حين يأتى موعده .

وأذكر مرة أخرى أن عرافة من المكسيك حددت موعد يوم القيامة . . ثم بعد ذلك حدث رعب وذعر فى بعض مناطق امريكا الجنوبية وامريكا الشمالية واتجه عدد من الناس الى المخابىء أو قمم الجبال يحتمون بها . . وطبعا لم يحدث شىء . . والمهم فى هذا كله أن هذه البدعة . . وهى إدعاء معرفة يوم القيامة سبق أن قام بها البشر . . وأثبت الله سبحانه وتعالى كذبهم .

وعلى أية حال فهذا كلام البهائيين وغيرهم من اصحاب المذاهب الهدامة . . وهو علم لا ينفع وجهل لا يضر . . فماذا سأستفيد لو أننى علمت أن يوم القيامة غدا . . ومن الذى سينجينى . . وإذا لم أعلم أن يوم القيامة غدا . . فإنه سيأتى لا يمنعه علمى أو جهلى . . وسيأتى فجأة دون

عليها تسعة عشر .

أن يعرف أحد منا . . ولا يمكن لأحد أن يحدد موعد القيامة . . ولا يمكن لأحد أن يكشف شيئا من الغيبيات الخمسة . . هكذا قال الله فى قوله تعالى . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾

(سورة لقمان ـ الآية ٣٤)

يعلم ما فى الأرحام

وهذه قضية إيمانية فى المقام الأول . . فلا يمكن لبشر أن يأتى ويقول إنه كشف ما ستره الله سبحانه وتعالى عن خلقه واختص به نفسه الى يوم القيامة . . ولا يدخل العقل ـ أى عقل سوى ـ أن هذا يمكن أن يحدث .

فإذا قال لك أحد ان العلم قد وصل الى أنه كشف ما فى الأرحام . . أو كشف احد الغيبيات الخمسة بأنه يعرف ما فى الأرحام تقول له إنك كاذب .

والله يعلم من يشاء . . ويعطى العلم لمن يريد من عباده . . فمثلا هو علم زكريا ما فى رحم امرأته قبل أن يخلق هذا المولود . . فقال له ان المولود ذكر . . وأن اسمه يحيى . . وأنه سيكون نبيا ومن الصالحين . .

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ

عليها تسعة عشر .

مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾

(سورة آل عمران ـ الآية ٣٩)

وفى سورة الكهف (الآية ٦٥) يقول فى العبد الصالح . .

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

. . فمدلول العلم هنا إذا كان قد كشف عن شىء من الغيبيات بأن الله هو الذى علمه لمن شاء من عباده الصالحين . . ولذلك لا يكون هذا العلم ذاتيا من الرسول أو العبد الصالح . . بل يكون علما علمه الله له .

وكل الأبحاث التى تمت والتى تتم . . تؤكد أن البشرية لم تصل الى أى معنى من معانى يعلم ما فى الأرحام . . ذلك أن العلم إما أن يكون ذاتيا بمعنى أنه يعلم حسب قواعد ثابتة محددة . . واما ان يكون خاضعا للتجربة ولاحتمالات الخطأ والصواب . . وفى هذه الحالة يكون مجرد تجارب . . فما الذى يحدث بالنسبة لما وصل اليه العلم . . أولا يتم أخذ عينة بعد عدة أسابيع من الحمل . . وهذا هو أول ما ينفى العلم . . لأنه لو كان هناك علم حقيقى لعرفوا ذلك بمجرد بدء الحمل . . ولكن العلم عاجز حتى الآن عن أن يحدد اليوم والساعة التى بدأ فيها الحمل . . وهو لا يستطيع أن يصل الى ذلك إلا بعد مرور عدة أسابيع على حدوث الحمل . . فهل ذلك العاجز عن تحديد موعد حدوث الحمل . . يعلم ما فى الأرحام ؟ . . إن كل التحاليل والاكتشافات وكل ما يملكه العلم لا يستطيع أن يحدد بالدقة موعد حدوث الحمل .

عليها تسعة عشر .

العلم . . بعد الخلق

هذه واحدة . . وثانيا أنهم بعد الحمل بعدة أسابيع يأخذون عينة ويحللونها ليقولوا هل المولود ذكر أو أنثى . . وهناك احتمالان لا ثالث لهما . . إما أن يكون المولود ذكرا . . وإما أن يكون المولود أنثى . . وهذا يجعل التخمين سهلا جدا . . فلو أنه هناك مائة نوع من الأجنة . . وأنت ستحدد أي نوع موجود في الرحم . . لقلنا إن ذلك علم . . لأنه في هذه الحالة يكون التخمين مستحيلا ، والوصول الى نوع من بين مائة نوع شيء محتاج الى علم فعلا . . ولكننا نرى بعض النساء عندنا عندما ترى امرأة حاملا تقول لها سترزقين بولد . . وترزق فعلا بولد . . فهل هذه المرأة التي قالت هذا الكلام تعلم ما في الأرحام . . أم أن التخمين هنا سهل . . والوصول الى النتائج حتى الآن هو وصول ظني وليس يقينا . . هم يقولون انه بنسبة ٩٠ ٪ . . ونحن نشك في هذه النسبة . . إلا انه حتى لو كانت صحيحة نقول من الذى قال لك أن كلمة « ما » تعني ذكرا أو أنثى . . ان كلمة « ما » تعني كل أحداث الحياة . . من كلمة « كن » التي تم بها الخلق حتى الموت . . بل وحتى البعث . . « ما » تعنى ، أهو شقي أو سعيد . . طويل أو قصير . ما لون عينيه ولون شعره . . عمره وأجله . . والأحداث التي ستقع عليه . . من سيتزوج . . ومن سينجب . . وأي الأمراض سيصاب بها . . وأي الحوادث سينجو منها . . وأي الحوادث لا ينجو منها . . رزقه وعمله . . كل خلية من خلايا جسمه ومتى تبعث فيها الحياة . . ومتى تتوقف عن الحياة . . الى أي البلاد سيذهب . . وفي أي الأماكن سيعمل . . ومن سيصادق . . ومن سيعادى . . ونستطيع أن

عليها تسعة عشر .

نمضى الى مالا نهاية فى أحداث الحياة التى تقع على البشر ليكون لها مدلول تحت كلمة « ما » التى قالها الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز . . فمن الذى فسر كلمة « ما » بأنها ذكر أو أنثى . . وكيف يمكن أن تدعى أنك تعلم ما فى الأرحام مع إنك علمته بعد ان وجد فعلا . .

فهل هذا علم ما فى الأرحام . . لقد وجد الجنين وتم خلقه فى رحم الأم . . ومرت عدة أسابيع على بداية خلق هذا الجنبن . . وبعد أن وجد جاء العلم ليقول ذكرا أو أنثى . . فهل هذا علم بكشف ما فى الأرحام فعلا ؟ . .

لو أن هناك علما حقيقيا لعرفت قبل أن يوجد . . ولكن ما دام قد وجد فقد خرج من عالم الغيب الى العالم المحسوس المكشوف . . وعندما خرج وكان قد علمت نوعه . . ولم تستطع أن تعرف ذلك ذاتيا . . ولكن كان لابد من اجراء عدة تحاليل . . فكأنك ترى المرض على وجه الانسان وتحلل دمه لتعرف نوع الميكروب . . فهل هذا علم بالغيب . . الجنين تخلق . . وصار فى عالم الواقع . . فأصبحت العملية هى اجراء تحاليل كتلك التى تجريها على الجسد البشرى لتعرف نوع المرض . . وكما تخضع هذه التحاليل البشرية للخطأ والصواب . . فكذلك تخضع التحاليل التى تجرى على الجنين للخطأ والصواب . . وكما لا تعرف من التحليل إلا الحالة التى أمامك . . كذلك لا يمكن ان تعرف من التحاليل التى تجرى إلا حالة الحمل التى أمامك . . ولا ينطبق هذا التحليل على أية حالة أخرى . . بل

عليها تسعة عشر .

لابد من إجراء تحليل لكل حالة على حدة . . وبعد ذلك كله . . فالمعرفة ظنية وليست يقينية . .

حديث قدسى

من عادى لى وليا اذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء احب إلى مما افترضت عليه ، وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى احبه ، فإذا احببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها .

وإن سالنى لاعطيته ، وإن استعاذنى لاعيذنه ، وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت ، وانا اكره مساءته .

* * *

اسرف رجل على نفسه ، فلما حضره الموت اوصى بنيه ، فقال : إذا انا مت فاحرقونى ، ثم اسحقونى ، ثم ذرونى فى الريح فى البحر ، فوالله لئن قدر على ربى ايعذبنى عذابا ، ما عذبه احدا ، قال : ففعلوا به ذلك ، فقال الله للأرض : اد ما اخذت فإذا به قائم ، فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : خشيت ـ أو مخافتك ـ يارب ، فغفر له لذلك .

* * *

إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، ظن هو هم بها فعملها ، كتبها الله له عنده عشرة حسنات ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى اضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها ، كتبها الله له حسنة كاملة ، فان هو هم بها فعملها ، كتبها الله سيئة واحدة .

عليها تسعة عشر .

معنى العلم

ولذلك عندما يقول أى إنسان إنه يعلم ما فى الأرحام . . نقول له : أن العلم لذاته ، وأنك متى حللت دل ذلك على جهلك ، وأنك تريد أن تصل الى الحقيقة ـ فلماذا يرسلك الطبيب الى معمل التحليل . . لأنه يجهل مرضك . . أو على الأقل لأنه ليس لديه علم مؤكد لما تشكو منه . . ومن هنا فان كل الذين يقولون : إن أحد الغيبيات الخمسة قد كشف إنما يحاولون الاضلال . . ذلك لأنهم يعرفون يقينا أن العلم يعلم ما فى الأرحام قبل أن يوجد . . ولا يعلم مافى الأرحام ساعة أن يوجد . . ولا يعلم ما فى الأرحام بعد أن يوجد إلا بعد أن تمر ستة أسابيع أو أكثر ثم بعد ذلك تكون التجارب والتحاليل لتحديد نوع الجنين فقط . . وحتى هذا ليس يقينيا . .

ولكن التكوين النفسى والتكوين الخلقى ومستقبل المولود والمواصفات الوراثية له ثم حياته كلها لا يعرف عنها العلم شيئا . . فاذا وصل العلم الى جزء من المليون من معنى كلمة « مافى الأرحام » . . ووصل الى هذا الجزء من المليون بعد بدء خلق الجنين فى الرحم بأسابيع طويلة هلك المضللون وقالوا لقد انكشف احد الغيبيات الخمسة .

نأتى بعد ذلك الى الغيث . . أو المطر . . فنجد نفس الشىء بنفس الخطة التى تمت بالنسبة لـ « ويعلم ما فى الأرحام » . . ثم أيضا بالنسبة الى ﴿ ينزل الغيث ﴾ . . وبعض الناس قال أن هناك نوعا من المواد الكيماوية تلقيه الطائرات فوق السحاب فينزل المطر والبعض الآخر ادعى أن التنبؤات الجوية التى تتم الآن ويقال فيها مثلا ان أمطارا غزيرة ستنزل غدا . . ثم

ينزل المطر فعلاً . . اعتبروا أن هذا كشف لقول الله ﴿ **ينزل الغيث** ﴾ . . والله يقول ﴿ **ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث** ﴾ أى أن الله هو الذى ينزل الغيث . . ونلاحظ هنا قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **ينزل الغيث** ﴾

. . ولم يقل يعلم وحده موعد نزول الغيث . . أى أن المسألة فى العملية نفسها التى تتم وليس فى موعد نزول الغيث ، لأن ذلك شىء تافه بالنسبة لعملية نزول الغيث نفسها . . فان الذى يقول : ان المطر سينزل اليوم أو غدا أو بعد غد . . فإن هذا التنبوء مازال ظنيا حتى الآن . . ورغم أنها جزئية صغيرة ألا أن العالم يستخدم لها الأقمار الصناعية والمعدات التى يطلقها فى طبقات الجو العليا ومحطات أرضية تستقبل ومعلومات تحلل . . ومع ذلك فمازال هذا العلم حتى الآن علما ظنيا . أى أنه يصدق ويكذب حتى فى أكبر دول العالم تقدما . . فكل ما يقال عن تطورات الجو أو عن نزول المطر بالذات هو احتمالات فقط قد تحدث أو لاتحدث .

الله جعل عملية نزول الغيث من غيبياته سبحانه وتعالى وقدرته . . انه يعرف مسيرة الغيث منذ أن يتصاعد كبخار ماء من البحر ، ولا اريد ان أذهب الى أبعد من ذلك حتى لا ندخل فى تفصيلات طويلة . . فقطعة البخار هذه عندما تصعد الى السماء بإذن الله من اسفل الى أعلى ثم تتجمع لتصبح سحابة . . هذه السحابة إلى أين تذهب ؟ . . وكيف تدفعها الريح ؟ . . وكم سرعتها ؟ . . ثم أين تسقط المطر ؟ . . وهل ينزل رذاذا أم سيلا ؟ . .

عليها تسعة عشر .

نـــزول الغيـــــث

بعض الناس يقول ان مناطق المطر معروفة فى العالم . . وهناك مناطق معينة تنزل فيها الأمطار . ومناطق لاترى الأمطار إلا نادرا . . نقول لهم ان هذا غير صحيح . . إرادة الله قسمت العالم الى مناطق صحراوية ومناطق خصبة . . ولكن لأن الكون يسير بطلاقة القدرة وليس بالاسباب . . تأتى سنوات تصاب فيها هذه المناطق الكثيرة الأمطار بالجفاف ولا توجد فيها قطرة ماء . . ويهلك الزرع . . ويهلك الحيوان . . ويهلك الانسان . . لو أن هذه بطبيعة الخلق وحدها ما حدث هذا . . ولكن مع طبيعة الخلق هناك مشيئة الخالق . . نأتى الى الانسان المدعى والضال . . ونقول له إن الله قد شاء أن تصاب المناطق التى تنزل فيها الأمطار بغزارة . . أن تصاب هذه المناطق بالجفاف . . تعال أنت ومعك السحب وبقدراتك أنك تنزل الغيث . . أنزل لنا قليلا من الغيث أو من المطر فى هذه المناطق الجافة . . وينظر اليك عاجزا ، ويقول إنه لا يستطيع . . نقول له هذا الماء الذى يشربه بلايين البشر ويسقون منه حيواناتهم وزرعهم وأنفسهم أنت تعرف عناصر تكوينه من الاكسوچين والهيدورچين . . تعال فاصنع لنا مائة برميل من الماء لهؤلاء الناس العطشى لنسقيهم فيقف عاجزا . . نقول له تعال لهذه الترعة التى جفت من عدم هطول الأمطار وضع فيها قليلا من الماء فلا يستطيع . . فأين هو الانسان من عملية نزول الغيث ؟

بل إن هناك مناطق فى العالم تغرق من غزارة الأمطار وصحارى شاسعة لا تجد نقطة ماء . . والله سبحانه وتعالى جعل ذلك دالا على قدرته . .

عليها تسعة عشر .

نقول لمن يدعى أنه ينزل الغيث . . خذ السحابة التى تعطى ماء هنا يكاد يهلك الناس وانطلق بها الى الصحراوات لتملأها بالحياة . . فلا يستطيع .

إذن ماذا انكشف من معنى « ينزل الغيث » . . ما الذى ظهر وعملية تكوين السحب ودفعها الى الأماكن التى قدر الله لها أن تمطر فيها . . ثم نزول المطر . . كل ذلك يتم وأنت لا تدرى عنه شيئا ولا تحس به . . بل إن اكثر بلدان العالم فى العلم والتكنولوچيا لا تستطيع اذا أصابها الجفاف ان تأتى بسحابة تمطر . . أو إذا أصابها مطر غزير ان توقف نزول هذا المطر .

حديث قدسى

قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، فنصفها لى ، ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سأل ، يقرأ العبد (الحمد لله رب العالمين) ، فيقول الله حمدنى عبدى ، فيقول (الرحمن الرحيم) ، فيقول الله أثنى على عبدى ، فيقول (مالك يوم الدين) ، فيقول الله مجدنى عبدى وهذا لعبدى ، (إياك نعبد وإياك نستعين) ، وآخر السورة لعبدى ما سأل ، يقول (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم) .

عليها تسعة عشر .

وأنــت لا تشــعر

ان الله سبحانه وتعالى . . يتم عملية البخر من هذا السطح الواسع من الماء الذى خلق ومن كل شيء مبتل حتى ذلك الغسيل الذى فوق سطح منزلك . . انه يساهم فى عملية تكوين السحب ونزول الأمطار . . كل مساحة مائية ، وكل شيء فيه ماء يتم استخدامه بقدرة الله فى عملية نزول المطر . . ثم يصعد هذا كله الى طبقات الجو العليا . . الى حيث يشاء الله . . ثم تتكون السحابة كما شاء الله لها أن تتكون . . ودون أى تدخل بشرى . . وبعد ذلك تمضى الى حيث هى مأمورة أن تنزل الماء . . وقدرة الله سبحانة وتعالى تتجسد واضحة فى العملية كلها . . من ساعة حدوث البخر الى ساعة نزول المطر . . وفى سيطرة الله على كل خطوة من هذه الخطوات . . ولا أحد يستطيع أن يدعى أن هناك مشاركة بشرية من أى نوع بحيث يكون هناك أى أساس للادعاء . . فلا يوجد أى عامل مشترك حتى يمكن أن يقال ان احد الغيبيات الخمسة قد انكشف . . فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أراد أن يكشف أنه خلق كل شيء من ذكر وأنثى حتى السحاب . . وأن عملية تلقيح السحاب يمكن ان تتم . . فان هذا بعيد جدا عن معنى ينزل « الغيث » . . ذلك أن الله بقدرته تكونت هذه السحابة . . وبقدرته جاءت الى هذه المنطقة لتمطر . . وبعلمه أراد أن يرى الانسان جزئية تافهة من عملية المطر . . وعلمه أن تتم عملية رش المواد الكيماوية بالطائرات . . وهذه تصيب مرة وتخطىء مرات . . والذى يريد أن يقول ان أحد الغيبيات قد انكشف فليأت لنا بسحابة لتمطر حيث نشاء . . أو يجعلها تمتنع عن المطر حيث نشاء . . وفى ذلك يقول

عليها تسعة عشر .

الله سبحانه وتعالى . .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾

(سورة النور - الآية ٤٣)

يبقى بعد ذلك من الغيبيات الخمسة . .

﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ ﴾

وهذه لم يدر حولها جدل حتى الآن . . فلم يدع أحد أنه يعرف ماذا يحمل له الغد من رزق . . ولم يدع أحد أنه يعرف أين يموت بل إن الله سبحانه وتعالى يخلف ظنون كل من يحاول ولو كذبا أن يعرف أين نهايته . . وما زلت أذكر قصة مليونير لبنانى بنى مقبرة كلفها ما يقرب من ثمانين ألف جنيه ليدفن فيها . . فشاء الله أن يكون أجله فى سقوط طائرة فى البحر . . ونزل الغواصون للبحث عن جثث الضحايا . . فعثروا عليها جميعا ما عدا جثة المليونير اللبنانى التى لم يعثروا عليها رغم كل الجهود المكثفة . . وبقيت المقبرة خالية حتى يومنا هذا . . وكأنها تنطق بالآية الكريمة

﴿ وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾

الرقم ١٩ . . والحقيقة

نأتى بعد ذلك الى الرقم ١٩ الذى يروج له البهائيون وغيرهم من أصحاب المذاهب الهدامة ، ويريدون أن يجعلوا منه شيئا مقدسا . . الله ذكر فى القرآن الكريم أرقاما كثيرة ليس بينها ترابط . . أى أنها لا تقبل القسمة على عدد واحد مثلا . . ولا هى مثلا كلها أحاد . . ولا كلها أزواج . . فقال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾

(سورة الحاقة ـ الآية ١٧) . .

وقال جل جلاله . .

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

(سورة البقرة ـ الآية ٥١)

. . وقوله تبارك وتعالى . .

وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ (سورة الأعراف ـ الآية ١٤٢) .

عليها تسعة عشر .

وقوله سبحانه . .

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

(سورة الحجر - الآية ٤٣ و ٤٤)

. . وقوله تعالى . .

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾

(سورة المعارج - الآية ٤) . .

وقوله جل جلاله . .

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾

(سورة الكهف - الآية ٢٥) . .

وقوله عز من قائل :

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾

(سورة الحج - الآية ٤٧)

وهكذا نرى ان الله سبحانه وتعالى قد استخدم فى القرآن الكريم أرقاما كثيرة لا يربط بينها الا مشيئة الله . . فحملة العرش هم ثمانية . . لأن الله

أراد لهم ان يكونوا ثمانية . . وأبواب جهنم سبعة لأن الله أراد لها أن تكون سبعة . . وميقات موسى كان أربعين ليلة لأن الله أراد ان يكون ميقاته أربعين ليلة .

وليس هناك معنى لاثارة الجدل فى هذا كله . . ذلك ان الجدل ممكن ان يثور حول أى رقم من الارقام . . ولو أننا قلنا ما الحكمة فى أن الله اختار أن يحمل عرشه ثمانية لثار السؤال ما هى الحكمة لو أن الله اختار عشرة أو اثنى عشر ملاكا لحمل العرش . . اذن لا توجد العلة فى الاختيار لتضع قيودا على مشيئة الله فى اختياره . . وفى هذا حكمة ايمانية كبرى ، لأنه متى اختار الله . . فلا نقول لماذا ؟ . . ولا نحاول أن نفلسف الأمور . . ولكن نقول شاء الله وما شاء فعل . . وهذا هو نفس المنطق الايمانى الذى كان يجب ان يقابل به العدد ١٩ . . من أن مشيئة الله أرادت أن يكون الملائكة حول النار تسعة عشر . . كما أرادت هذه المشيئة أن يكون حملة العرش ثمانية . . وكل ما يقال خلاف ذلك . . كلام من باب المجادلة دون الوصول إلى شىء . . والذى يدلنا على ذلك هو سياق القرآن نفسه . . ولنرجع إلى الآية الكريمة فى قوله سبحانه وتعالى :

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

عليها تسعة عشر .

إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ ﴾

(سورة المدثر الآيات ٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١)

القـــران يتحـــدى

إذا قرأنا هذه الآيات بامعان فكأننا نرى ما يحدث اليوم مسطورا فى القرآن الكريم بدقة ووضوح . . يقول الله ﴿ **وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا** ﴾ . . أى أن الذين سيفتنون بهذا العدد ويحاولون تفسيره بأوجه شتى . . ويحاولون استخدام الكمبيوتر وغيره لفتنة الناس ينطبق عليهم قول الله ﴿ **وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا** ﴾ . . ومن هنا يصف الله كل من يفتن بهذا العدد ، أو يحاول ان يفتن به الناس من الذين كفروا . . وتأكيدا لما يحدث اليوم . . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا** ﴾ . . وليحذر الذين يحاولون الآن ان يضعوا تفسيرا لهذا الرقم من عند أنفسهم أو باستخدام التمويه أو باستخدام الحيل بالعقول الالكترونية . . ليحذر هؤلاء جميعا من أنهم إذا حاولوا أن يفسروا لنا ﴿ **ماذا أراد الله بهذا**

عليها تسعة عشر .

ثلا ﴾ . . هؤلاء ينطبق عليهم قول القرآن الكريم ﴿ والذين فى قلوبهم رض والكافرون ﴾ .

وهكذا نرى من اعجاز القرآن الكريم أنه أنبأنا بما سيحدث قبل وقوعه وقت طويل . . وقال إننى ضربت مثلا بالملائكة حول النار . . وقلت انهم سعة عشر . . وهذا العدد جعلته فتنة للذين كفروا . . فسيأتى الكافرون يفتنون به ، ويحاولون أن يفتنوا الناس به . . ويقولون إنه يحتوى على سرار الكون . . وأنه يحتوى على موعد يوم القيامة . . وأنه يحتوى على مر الدنيا . . وسيحاول هؤلاء الكافرون أن يتخذوا من هذا العدد فتنة يفتنوا الناس به . . بل أكثر من هذا . . إن الذين فى قلوبهم مرض الكافرين سيحاولون تحليل هذ الرقم . . ليتقولوا على الله سبحانه تعالى . . وليحاولوا أن يفسروا لكم ﴿ **ماذا أراد الله بهذا مثلا** ﴾ . . وهذا ا يحدث الآن . . ولو أن هؤلاء الكافرين والمضلين لم يأتوا ولم يستخدموا هذا الرقم بالذات (تسعة عشر) فى الفتنة والاضلال . . ولم يحاولوا بالكمبيوتر وغيره أن يقولوا لنا ﴿ **ماذا أراد الله بهذا مثلا** ﴾ . . لقلنا ان الله قد أخبرنا فى القرآن عن كافرين ومضلين سيأتون ليضلونا ويحاولوا فتنتنا بالعدد تسعة عشر ولكنهم لم يأتوا . . فكونهم أتوا . . وكونهم استخدموا الكمبيوتر وغيره لينشروا عمليتهم هذه . . أكبر دليل يثبت الايمان ويدلنا على أن الآية الكريمة التى وصفتهم بالذين فى قلوبهم مرض والكافرين قد حددتهم بالذات . . وهكذا يثبت الله الايمان وينشر الدين بالكافرين ويجعل من هؤلاء الكافرين الذين جاءوا ليضلوا بآيات الله وبالقرآن الكريم يجعلهم

عليها تسعة عشر .

مثبتين للايمان ودليلا على صدق اليقين .

وبذلك نعرف ان كل العبث الذى يقال عن الغيبيات الخمسة وعن رقم ١٩ . . انما هو نوع من الاضلال والضلال . . والعجيب ان الذين يروجون أن الغيبيات الخمسة قد انكشفت هم أنفسهم الذين يروجون للرقم ١٩ . . وما يدعونه مما يحمل من معجزات .

إلى هنا وأحمد الله سبحانه وتعالى على انه قدرنا على اتمام خواطرى حول الأمثال فى القرآن الكريم . . والتى تمت فى الجزء السادس من معجزة القرآن الكريم الذى صدر فى رمضان الماضى وهذا الجزء .

وبذلك أكون قد تحدثت عن الأمثال التى وردت فى القرآن الكريم مسبوقة بكلمة مثل . . وإلى لقاء فى رمضان القادم ان شاء الله .

حديث قدسى

إذا قال العبد لا إله إلا الله ، والله أكبر ، قال : يقول الله ـ عز وجل ـ : صدق عبدى ، لا إله إلا أنا ، وأنا الله أكبر ، وإذا قال العبد لا إله الله وحده ، قال : صدق عبدى ، لا إله إلا أنا وحدى ، وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، قل : صدق عبدى ، لا إله إلا أنا ، ولا شريك لى ، وإذا قال لا إله إلا الله ، له الملك وله الحمد ، قال : صدق عبدى ، لا إله إلا أنا لى الملك ، ولى الحمد ، وإذا قال لا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال : صدق عبدى ، لا إله إلا الله أنا وحدى ، ولا حول ولا قوة إلا بى .

المحتـويات

رقم الايداع ٣٣٢٨ / ٩٣
I. S. B. N
977 – 08 – 0181 – X

طبعت بمطابع دار اخبار اليوم